

أضرب ظالم ومقتصد وسابق وهم المذكورون في قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا الآية وهم أيضا أعني الأبرار ثلاثة أضرب أولياء
للشاهادة والهداية لقوله تعالى لقد أرسلنا رسالنا بالبينات وأنزلنا معهم
الكتاب والميزان ليقيم الناس بالقسط وحكماء وهم الأولياء المراقبة والرعاية
لقوله تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا
يتقون وعوام للجهالة والكفاية وهم المذكورون في قوله تعالى يجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وهم أيضا ضربان عبد بالطبع وإن كان
ملكاً ومالك بالطبع وإن كان عبداً مسترقاً والملك من حصل الفضائل النفسية
التي بها يصير الإنسان بحيث يصح أن يوصف بأنه رباني والهي وملكى ويصح
أن يكون خليفة الله في أرضه والعبد من قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه
تس عبد الدرهم تس عبد الدينار تس ولا تتعش وإذا شمتك فلا تتعش
وقال بعض الحكماء ما من إنسان إلا وفيه خلق من أخلاق بعض الحيوانات
وبعض النباتات ليكون الإنسان مشاركالهما في الجذبة وإن كان مبايناً لهما في
النوعية فمن الناس غشوم كالأسد وعابث كالذئب وخيب كالتملب وشرة
كالخنزير وجائع كالنمل ووقع كالذباب وبليد كالجمار وألوف كطير الوفا وصنع
كالسنة وأنف كالأسد والفم وغبور كالذئب وهاد كالجمام ومنهم حسن المنظر
والخبر كالآترج ومنهم بخلاف ذلك كالقنص والبلوط ومنهم قبيح المنظر كحس
الخنزير كالجوز واللوز ومنهم حسن المنظر قبيح الخبر كالخنظل والدفلى والمؤمن
الخبر هو في الحيوانات كالنمل يأخذ أطايب الأشجار ولا يقطف ثمرها ولا يكسر
شجراً ولا يؤذي شراً ثم يعطي الناس ما يكثر نفعه ويحلو طعمه ويطيب ريحه وهو
في الأشجار كالآترج يطيب حملاً ونوراً وعوداً وورقاً والمنساق الشري هو في
الحيوانات كالنمل والأرضة وفي الأشجار كالسكوت فلا أصل له ولا ورق
ولا نسيم ولا ظل ولا زهر يفسد الثمار ويسبب الأشجار وكالثمرة التي قل ورقها
وكثر شوكةا وصب برتقاها

(الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما يضادها)

(الباب الأول فضيلة العقل)

العقل

العقل أول جوهر أوجده الله تعالى وشرفه بدلالة ما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم على منك بك آخذو بك أعطو بك أثيبو بك أعاقبو ولو كان على ما توهمه قوم أنه عرض لماسح أن يكون أول مخلوق لأنه محال وجود شيء من الأعراض قبل وجود جوهر يحمله وقال عليه الصلاة والسلام لا دين لمن لا عقل له وقال لا يجهنمكم إلا ما امرئ حتى تعرفوا عقيدة عقله ومن هذا الوجه أشار النبي عليه الصلاة والسلام قالت الحكماء من لم يكن عقله أغلب تحصل الخير عليه كان حقيقته في أغلب حصول النعم عليه وبالعقل صار الإنسان خليفة الله عز وجل ولتوهم مرتبة لا ترفع الفضائل عن العالم فضلاً عن الإنسان وبما غرسه الله تعالى في الإنسان منه اهتدى من وفقه الله تعالى إلى تركيبة نفسه المذكورة في قوله تعالى قد أفلق من زكاتها وحصل به حث الآخرة في قوله تعالى من كان يريد حث الآخرة نزل له في حثه وثمره حث الآخرة على التفصيل سبعة أشياء بقاء بالأقناء وقدرة بالبحر وعلم بالجهل وغنى بالحاجة وأمن بالخوف وراحة بالاشتغال وعز بالذل وإلى العقل أشار بقوله تعالى الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية فمضى نور السموات أي منورها والنور هو العقل وقد تقدم وجه ضرب هذا المثل ويقال العقل على ضربين أحدهما بغير إضافة وهو المذكور بأنه أول مخلوق والثاني بالإضافة إلى آحاد الناس فيقال عقل فلان وهو من الأول بمنزلة الضوء من الشمس

(الباب الثاني أنواع العقل)

العقل عقولان غريزي وهو القوة المتبينة لقبول العلم ووجوده في الطفل كوجود النحل في النواة والسنبلة في الحبة ومستفاد وهو الذي تنقوى به تلك القوة وهذا المستفاد ضربان ضرب يحصل للإنسان حالاً فلا بلا اختيار منه فلا يعرف كيف حصل ومن أين حصل وضرب باختيار منه فيعرف كيف حصل ومن أين حصل وحصوله بعد اجتهداه في تحصيله ولا يكون العقل غريزياً ومستفاداً قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه

* العقل عقلان مطبوع ومسموع *

فلا ينفع مسموع * اذ الميك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع
والى الاول أشار النبي عليه الصلاة والسلام بقوله ما خلق الله خلقاً كرم عليه
من العقل والى الثانى أشار عليه الصلاة والسلام بقوله اعلى رضى الله عنه اذا
تقرب الناس الى خالقهم بأبواب البر فتقرب أنت اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات
والزاني عند الناس فى الدنيا وعنده الله فى الآخرة وقال رضى الله عنه
ما اكتسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يردّه عن ردى
ولا اختلاف النظيرين قال قوم العقل مبدع وقال قوم هو مكتسب وكلا القولين
صحيح من وجه ووجه والعقل الغريزى للنفس بمنزلة البصر للجسد والمستفاد
لها بمنزلة النور وكما ان البدن متى لم يكن له بصر فهو أعمى كذلك النفس متى لم
يكن لها بصيرة أى عقل غريزى فهي عمياء وكما ان البصر متى لم يكن له نور
من الجوّ لم يجد بصره كذلك العقل اذ لم يكن له نور من العلم مستفاد لم يجد بصيرته
ولذلك قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقد جعل للعقل نظر
وادراك ورؤية وابصار وجعل له اضداد من العمى وغيره وقال عز وجل
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقال ما كذب الفؤاد ما رأى وقال
وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ولما كان فقدان البصيرة
أشنع من فقدان البصر لان بار تفاع البصيرة ارتجاع النفع بالبصر قال الله تعالى
فانها لا تعمى الابصار ولا تكن تعمى القلوب التى فى الصدور فذهبهم بفقدان
البصيرة تنبيه ان فقدانها اختياري اذ هو تركهم استفادة العلم وأكثر فقدان
البصر ضرورى وقال تعالى الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا
لا يستطيعون سمعاً فلولا ان العيون أريد منها البصيرة لما قال عن ذكرى لان
الذى لا يدرك بحاسة العين وقال ابن عباس رضى الله عنهما لمن غيره بفقدان
البصر انا نصاب فى أبصارنا وأنتم تصابون فى بصائركم وكيف لا يكون فقدان
البصيرة أعظم ضرراً من فقدان البصر وقد تقدم ان البدن بمنزلة فرس
والنفس بمنزلة راكبه وضرر عى الراكب نفسه أشد عليه من عى فرسه

* (الباب الثالث المكتسب من العقل الديوى والاخرى) *

العقل المكتسب ضربان أحدهما التجارب الدنيوية والمعارف المكتسبة
والثاني العلوم الاخرية والمعارف الالهية وطريقاهما متنافيان وقد ضرب
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لذلك ثلاثة امثال فقال ان مثل الدنيا والآخرة
ككفتي الميزان لا ترجح أحدهما الا بتقصان الاخرى وكالمشرق والمغرب كل من
قرب من أحدهما وبعد من الآخر وكالضربتين اذا أرضيت أحدهما أسخطت
الاخرى ولذلك يرى قوم أيكسافي تدبير الدنيا بلها في تدبير الآخرة وقوم
أيكسافي أمور الآخرة بلها في أمور الدنيا حتى قال عليه الصلاة والسلام
السكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل ان نسب بعض الصالحين
الى البله أكثر أهل الجنة البله ولاختلاف طريقتهما قال الحسن رحمه الله
أدركا قوما لو رأيتهم لقلتم بجانين ولورأوكم لقلوا شيئا طين وقللة الاعتداد
بالمعارف الدنيوية قال لرجل وصف نصرانيا بالعقل مه انما العقل من وحد
الله تعالى وعمل بطاعته وقال تعالى حكاية عن أهل النار لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا في أصحاب السعير ومن تصور اختلاف الطريقين أهني طريق الدنيا
وطريق الآخرة لم تعرض له الشبهة التي عرضت لقوم قالوا وان هنا حقنا
جهله الذين لم يحق شاؤهم في تدبير الدنيا ودقائق الصناعات وواضعوا الحكم
والسياسات وذلك كما انه من المحال ان يظفر سالك طريق الشرق بما لا يوجد
الافى الغرب أو يظفر سالك طريق الغرب بما لا يوجد الافى الشرق كذلك من
المحال ان يظفر سالك معارف الدنيا بمعارف طريق الآخرة وقد نبه الله تعالى
على ذلك بقوله ان الذين لا يرجعون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا غافلون وبقوله وليكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا والآية ولا يكاد يجمع بين معرفة الدنيا والآخرة مع
التحقيق والتصديق الا من رشحهم الله تعالى لتحذيب الناس في أمور معاشهم
ومعادهم جميعا كالانبياء وبعض الحكماء ولما كان العقل هو الذي يردع
الانسان من الذنب واكتسابه على التمام والكمال في الوري مسمي لم ينفك
أحد من ذنب يرتكبه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا اذنب
أولهم

(الباب الرابع منازل العقل واختلاف أسمائها بحسبها)

العقل اسم عام لما يكون بالقدرة أو بالفعل ولما كان غريزياً وما كان مكتسباً وهو في اللغة قيد البعير لا يند ويسمى هذا الجوهر به تشبيهاً على ما دلتهم في استمارة أسماء المحسوسات للعقولات ونخص بقاء المصدرية لأنه لما كان يستعمل قارة للحدث ومرة للفاعل فهو عدل وصوم وزور ومرة للمفعول فهو خاق وأمر أن يكن بتصور منه كونه سبباً لتقييم الإنسان به وكونه مقيداً له عن تعاطي ما لا يحسن وكونه معتد به من بين الحيوان والنهي في الأصل جمع نية أو اسم مفرد نحو جعل وصر أو وصف نحو دليل خضع وسائق حطم وجعل اسماً للعقل الذي انتهى من المحسوسات إلى معرفة ما فيه من المعقولات ولذلك أحيل أربابه على تدمير مساكن المحسوسات في قوله تعالى أفلم يهدم كم أهل كما من قبلهم من الغرور عشون في مساكنهم أن في ذلك لآيات لا ولي النهي وقال وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا واربعوا أنعامكم أن في ذلك لآيات لا ولي النهي والجبر أصله من الجبر أي المنع وهو اسم لما يلزمه الإنسان من حظر الشرع والدخول في أحكامه وعلى ذلك قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي جبر وسمى جبر من جاءه أي قطعه ومنه الأجمة فكأنه سمي بذلك لكونه قاطعاً للإنسان عن ما يقبح وأما اللب فهو الذي قد دخل من عوارض الشبه وترسخ للاستفادة الحقائق من دون الفرع إلى الحواس ولذلك خلق الله تعالى في كل موضع ذكره بحقائق المعقولات دون الأمور المحسوسة فنحو قوله أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لا ولي الباب فوصفهم بهداية الله إياهم وقد سمي الله تعالى العلم نورا والجهل ظلمة فقال الله ولين الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا الآية وسمي بروحاً في قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت الآية وسمي بحياة والجهل موتاً بقوله تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا الآية وقوله وما يستوي الأحياء ولا الأموات أن الله يسمع الآية وسمي بماء بقوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الآية والإيمان زبدة العقل والعمل ولذلك قال الله تعالى في مواضع أن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فخلق به

مما عاقبهما وهي العقل قلبا وذلك انه لما كان القلب مبدأ تأثير الروحانيات
والفضائل سمي به . ولذلك عظم الله تعالى أمره لاختصاصه بما قد أوجبه
لأجله . قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . وقال من
نحى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . وقال ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فنبه ان القلب في الحقيقة يكون قلبا اذا كان
مختصا بما قد أوجده لأجله . وما أوجده لأجله هو المعارف الحقيقية . وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان في البدن مفسدة اذا استقامت استقام البدن واذا
اعوجت اعوج البدن . ولما كان أشرف المسارف هو ما يخص به القلب
قال الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك نخسه بالذكر

* (الباب الخامس جلالة العقل وشرف العلم) *

العقل حيث ما وجد يكون محتشما حتى ان الحيوان اذا رأى انسانا احتشمه
بعض الاحتشام والترجس . بعض الانزجار . ولذلك تنقاد الابل للراعي وكذلك
جماعة الرعاة اذا رأوا منهم من كان أوفى عقلا وأغز رفضا فيمساهم بصدد
انقاد والهم طوعا فالعلماء اذا لم يعاندوا انتقادوا ضرورة لاكثرهم علماء وأوفى
نفسا وأفضلهم عقلا ولا ينكر فضله الا كل متدنس بالمعاصي مستطيل لرياسة
حافظ على غرض دنيوي قد جعل عقله خادما لشهوته فليحفظه على رياسته
ينكر فضل الفاضل ويفضله العقل الوافر كان كثير من كانوا يعاندون النبي
صلى الله عليه وسلم قصدوا ليعتقوه . فما كان الا وقع طرفهم عليه فرؤى لهم
نور الله تعالى معربا عنه . فألقى في قلوبهم منه روعة فهابوه فن مدعن له طائعا
ونحيث لا ينكره بعد الا جاحدا . ولهذا المعنى قال الشاعر

لولا تسكن فيه آيات مبينة * كانت بديهة تغنيك عن خبره

وقد تقدم ان الانسان لم يتميز عن البهائم الا بالعقل ولم يشرف الا بالعلم ومن
شرف العلم ان كل حياة انفكت منه فهو غير معتدي بها بل ليست في حكم الوجود
فان الحياة الحيوانية لم يحصل ما لم يقارنها الاحساس فيلتذ بها يوافقها ويطلبه
ويتألم بما يخالفه فيهرب منه . وذلك أحسن المعارف فيقتضي الحياة الانسانية
انها اذا تعرت من المعارف المختصة بها ان لا يعتدي بها ولذلك سمي الله تعالى

الجاهل ميتاً في غير موضع من كتابه فقال أومن كان ميتاً فأحييناه ولاجل ان الحياة
تقارن العلم سمي الله تعالى العلم روحاً في قوله وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا
وقد ذكرنا ان حاجة الانسان الى العلم أكثر من حاجته الى المال لان العلم نافع
لاعماله ونفعه دائم في الدنيا والآخرة والمال قد ينفع وقد يضر وإذا نفع
فنهجه منقطع فمن استفاد علماً ثم ضيعه أو تمكن من استفادته فاهمله فقد خسر
خسراً ثانياً كما قال تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الى قوله لعلمهم
يتفكرون

* (الباب السادس الفرق بين العلم والعقل وبين العلم والمعرفة والدراية والحكمة) *

العلم ادراك الشيء بحقيقته وهو ضربان احدهما حصول صور المعلومات
في النفس والثاني حكم النفس على الشيء بوجوده شيء له هو موجود أو نفي شيء
عنه هو غير موجود له نحو الحكم على زيد بانه خارج أو ليس هو بآثراً فالاول
هو الذي قد يسمى في الشرع وفي كلام الحكماء العقل المستفاد وفي النحو
المعرفة ويتعدى الى مفعول واحد والثاني هو الذي يسمى العلم ويتعدى
الى مفعولين ولا يجوز الاقتصار على احدهما من حيث أن القصد اذا قيل
علمت زيداً منطلقاً ثبات العلم بانطلاق زيد دون العلم بزيد واعلم ان العقل
والعلم بقياس احدهما على الآخر على ثلاثة أوجه أحدهما عقل ليس بعلم
وهو العقل الغريزي والثاني علم ليس بعقل وهو المتعدي الى مفعولين
والثالث عقل هو علم وعلم هو عقل وهو العقل المستفاد والعلم الذي يقال له
المعرفة ولم يصح ان تعدي العقل الى مفعولين فيقال عقلت زيداً منطلقاً
كما يقال في علمت ان يكون العقل موضوعاً للعلم البسيط دون المركب وسمى
حقلاً من حيث انه مانع لصاحبه أن تقع أفعاله على غير نظام وسمى علماً من
حيث انه علامة على الشيء وهذا اذا اعتبر حقيقته مما يتبين به شرف اللغة
العربية وأما الفرق بين العلم البسيط أعني المتعدي الى مفعول واحد وبين
المعرفة وان المعرفة قد يقال فيما يدرك آثاره وان لم يدرك ذاته والعلم لا يكاد
يقال الا فيما يدرك ذاته ولهذا يقال فلان يعرف الله تعالى ولا يقال يعلم الله

عز وجل لما كانت معرفته يقال ليست الا بمعرفة آثاره دون معرفة ذاته
وأضاف المعرفة فقال فيما لا يعرف الا كونه موجودا فقط والعلم أصله أن يقال
فيما يعرف وجوده وجنسه وكيفية وعلمته ولهذا يقال الله تعالى عالم بهذا
ولا يقال عارف به لما كان العرفان يستعمل في العلم القاصر وأيضا فالمعرفة
تقال فيما يتوصل اليه بتفكير وتدبر والعلم قد يقال في ذلك وفي غيره ويضاد
العرفان الانكار والعلم والجهل وأما الدراية فالمعرفة المدركة بضرب من
الحيل وهو تديم المقدمة وإحالة الخاطر واستعمال الروية وأصله من دريت
الصيد والدريته يقال لما يتعلم عليه الطعن والناقاة بسبب الصائد ليأمن الصيد
بها فيرى من روايتها والمدري يقال لما يصلح به الشعر ولقرن الشاة ولا يصح
أن يوصف بذلك الباري تعالى لأن معنى الحيل لا يصح عليه ولم يرد بذلك سمع
فيتبع وقول الشاعر * لا هم لا أدري وأنت الداري * من تجرف الاعراب
الاجلاف وأما الحكمة فاسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي
أنحصر منه بالعلم النظري وفي العمل أكثر استعماله في العلم وإن كان
العمل لا يكون محكما من دون العالم به ومنها قيل الحكم العمل احكاما وحكم بكذا
محكما والحكمة من الله تعالى عز وجل اظهار الفضائل المعقولة والمنسوسة
ومن العباد معرفة ذلك بقدر طاقة البشر وقد حدثت الحكمة بألفاظ مختلفة
على نظرات مختلفة فحيل هي معرفة الاشياء الموجودة بحقائقها وبمعنى كلمات
الاشياء فإخبارياتها فلا سبيل للبشر الى الاطاطة بها وهذا الحد بحسب اعتبارها
بالعلم وقيل هي امارة الشهوات على ما يجب وهذا الحد بحسب اعتبارها بالعمل
فيمارسها وغاية المراد من الانسان وقيل هي الافتداء بالخالق في السياسة بتدبير
طاقة البشر وذلك ان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وعلمه عن الظلم وجوده عن
البخل وحلمه عن السفه ونحو هذا العلم يقرب العبد من خالقه سبحانه في الدنيا
ونسبته الى العلوم الى الحكمة من وجه كنسبة الاعضاء الى البدن في كونها
أعضاءا لها ومن وجه كنسبة الرؤوس الى الرئيس في كونها مستولية عليها ومن
وجه كنسبة الاولاد الى الام في كونها مولدة لها وهي في تعارف الشرع اسم
للعلوم العقلية أي المدركة بالعقل وقد أفرد ذكرها في عامة القرآن عن
الكتاب فجعل الكتاب رسما لا يدرك الا من جهة النبوات والحكمة لما

يدرك من جهة العقل وجعله منزلياً وإن كان انزاله مما من الله تعالى قد يكونان مختلفين وجمع بينهما في الذكركم حاجة كل واحد منهما ما إلى الآخر فقد قيل لولا الكتاب لأصبح العقل حائراً ولولا العقل لم ينتفع بالكتاب وقد قيل الكتاب بمنزلة اليد والعقل بمنزلة الميزان ولا تعرف المقادير إلا بهما وكذلك عبر عن الحكمة بالميزان في قوله تعالى وأنزل الكتاب بالحق والميزان ولا يبلغ الحكمة إلا أحد رجلين إما مهتدي في فهمه مؤمن في فعله ساعده معلم ناصح وكفاية وعمر وأما الهى يصطفيه الله تعالى فيفتح عليه أبواب الحكمة بفيض الهى ويبقى إليه مقاليد جوده فيبائه ذروة السعادة به وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

* (الباب السابع توابع العقل) *

العقل المشرق في الإنسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراسة والحكمة وقد تقدم ذكرهن ويحصل عنه أيضاً الذكاء والذهن والفهم والفتنة وجودة الخاطر وجودة الفهم والتخيل والبصيرة والكيس والخير وإصابة الظن والفراسة والذكاة والكهانة والعسرة والإلهام ودقة النظر والرأى والتدبير وحسنة الفكر وجودة الذكر وجودة الفتنة والبصيرة والفصاحة فاما الذكاء فاما قضاء في الامر وسرعة القطع بالحق وأما العلم من ذك النار وذك الزيت وشاة مد كما يدرك ذبحها بحدثة السكين وذكى الرجل تم فيه قوة الذكاء ولكن لما كان أكثر ما يوجد ذلك فيمن تمت سنه صار يعبر عنه عن تمام السن ومنه قيل جرى الذكاءات غلاب وأما الذهن فتعريب من الذكاء لكن يقال في ادراك ما وقع فيه التنازع وأما الفتنة فسرعة ادراك ما يقصده أشكاه ولهذا أكثر في استنباط الاحاجي والرموز وأما الفهم فقدمته للعقل فن لا يعرف معنى الشئ فهماً لم يتحققه عقلاً وقد يسمى الفهم عقلاً وإن كانت مرتبة دون مرتبة العقل فقوة الفهم ان يدرك الاشياء المجزئية والعقل يدرك كلياتها ومعنى ذلك ان العقل يعترف ان العدالة حسنة والظلم قبيح والفهم يبين فيميز كل واحد من الفعل هل هو عدل أو ظلم وقد يوصف بالفهم من لا يوصف بالعقل كما حاذق في لعب الشطرنج وكل من يوصف بالعقل فإنه يوصف بالفهم وأما الخاطر

فحركة انهم نحو الشيء يقال خطر الشيء يسأل ولم يقل خطر بالي شيء فيجوز أن يكون ذلك من المقلوب كقولهم عيش ناصب وقد قيل في قولهم عقلت الشيء واحسنت أنهم أيضا من المقلوب فالشيء هو المؤثر في الحاسة والعقل لاها فيه وأما الوهم فانقياد النفس لقبول أثر ما يدعيها من قولهم حمل وهم وطريق وهم والفرق بينهما وبين الخاطر ان الخاطر يقال فيما لا تقبله النفس والوهم لا يقال الا فيما تقبله النفس وأما الخيال فتح والوهم لكن لا يقال في ماله اعتبار بما يكون من جهة الحاسة وفي ماله صورة ما ومنه سمي الطيف الوارد من جهة المحبوب خيالا والخيال قد يقال لتلك الصورة في المنام وفي اليقظة والطيف لا يقال الا فيما يكون حال النوم ولهذا ينسب الى الخيال لما كان ذلك من جانبه قال الشاعر

نم فسا زارك الخيال ولا كنت بالنعك كزرت طيف الخيال

وأما البديهة فمعرفة ثابتة تتبع بلا فكر ولا قصد فالبدية في المعرفة كالبدية في الفعل وأما الروية فما كان من المعرفة بعد فكر كثير وهو من زوى وأما الكيس فهو القدرة على جود استنباط ما هو أصلح في بلوغ الخير ولهذا قال عليه الصلاة والسلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت من حيث أنه لا خير يصل اليه الانسان أفضل مما بعد الموت وقول العرب أكيس من قسه لتصورها بصورة الكيس لانها ذات كيس في الحقيقة وكاس في مشيته أي أظهر الكيس برفع إحدى رجليه وتسميتهم الغادر كيسان اما على طريق المجاز أو تسميها على ان الغادر يعد ذلك كيدا أولان كيسان في الاصل اسم لغادر ويسمى كل غادر كيسان كتسميتهم كل حداد هالكية واما الخبر فالمعرفة المتوصل اليها من قولهم خبرته أي أصبت خبره وقيل هو من قولهم ناقة خبرة أي غزيرة فكأن الخبر هو غزارة المعرفة ويجوز أن يكون قولهم ناقة خبره أي الخبرة عن غزارتها كقولهم ناقة ناجرة واما الظن فاصابة المطلوب بضرب من الامارة ولما كانت الامارات مترددة بين يقين وشك فتقرب تارة من طرف اليقين وتارة من طرف الشك صار يفسر أهل اللغة بها ففي رؤى الى طرف اليقين أقرب استعمل ان المثلثة والخففة منها نحو قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقوله وظنوا أنه واقع بهم وفي رؤى الى طرف الشك

أقرب استعمال معه ان التي للمعدومين من الفعل تحفظت ان تخرج وان خرجت
وانما استعمال الظن بمعنى العلم في قوله تعالى الذين يظنون انهم ملائكة
لا من احد منهم اتينيه نعلم أكثر الناس في الدنيا بالاضافة الى علمه به في
الآخرة كالظن في جنب العلم والثاني ان العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل
الا للذين والصديقين المؤمنين بقوله الذين يؤمنون بالله ورسوله ثم يرتابوا
والظن متى كان عن أمانة قوية فانه يمدح ومتى كان عن تخمين لم يعتد به
كما قال تعالى ان بعض الظن اثم وأما الفراسة فالاستدلال بهيئة الانسان
وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله وورثاته وربما يقال
هي صناعة صيادة لمعرفة أحد لاق الانسان وأحواله وقد نبه الله تعالى على
صدقها بقوله ان في ذلك لآيات لتؤمنن وقوله تعرفهم بسيماهم وقوله
ولتعرفنهم في لحن القول ولغظها من قولهم فرس السبع الشاة فكأن
الفراسة اختلاس المعارف وذلك ضربان ضرب يحصل للانسان عن خاطر
لا يعرف سببه وذلك ضرب من الالهام بل ضرب من الوحي واية عن النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله المؤمن ينظر بنور الله وهو الذي يسمى صاحب الروح
والحدث وقال عليه الصلاة والسلام ان يكن في هذه الامة محدث فهو عمر وقيل
في قوله تعالى وما كان ابشر ان يكامه الله الا وحيا أو من وراء حجاب الآية
انما كان وحيا باللسان في الروح وذلك للانبياء كما قال عز وجل نزل به الروح
الامين على قلبك وقد يكون بالهام في حال اليقظة وقد يكون في حال المنام
ولاجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين
جزءا من النبوة والضرب الثاني من الفراسة يكون بصناعة متعلمة وهي معرفة
ما بين الالوان والاشكال وما بين الامزجة والاخلاق والافعال الطبيعية
ومن عرف ذاك كان ذافهم ثاقب بالفراسة وقد عمل في ذلك كتب من تتبع
الصحيح منها اطلع على صدق ما ضمنوه والفراسة ضرب من الظن وسئل بعض
محصلي الصوفية عن الفرق بينهما فقال الظن بتقلب القلب والفراسة
بنور الرب ومن قوى فيه نور الروح المذكور في قوله تعالى ونفخت فيه من
روحي كان ممن وصفه بقوله أفن كان على يدنة من ربه ويتلوه شاهد منه وكان
ذلك النور شاهدا أصاب فيما حكم به ومن الفراسة قوله عليه الصلاة والسلام

في الملة لاعتني ان أمرهم ايسر لولا - كم الله ومن القراسة علم الرؤيا وقد عظم الله تعالى أمرها في جميع الكتب المنزلة وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن وقال انذر يكهم الله في منامك الآية وقال في قصة ابراهيم يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك وقوله يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والرؤيا هي فعل النفس الناطقة ولولم يكن لها حقيقة لم يكن لايجاد هذه القوة في الانسان فائدة والله تعالى يتعالى عن الباطل وهي ضربان ضرب وهو الاكثر أضغاث أحلام وأحاديث النفس بالخواطر الرديئة لكون النفس في تلك الحال كالماء المتزوج لا يقبل صررة وضرب وهو الاقل صحيح وذلك فسمان قسم لا يحتاج الى تأويل ولذلك يحتاج المعبر الى مهارة يفرق بين الاضغاث وبين غيرها وليميز بين الكلمات الروحانية والجسمانية ويفرق بين طبقات الناس اذ كان فيهم من لا تسمع له رؤيا وفيهم من تسمع رؤياه ثم من صحيح له ذلك منهم من يرشح ان ان تاتي اليه في المنام الاشياء العظيمة الخطيرة ومنهم من لا يرشح له ذلك ولهذا قال اليونانيون يجب ان يشتغل المعبر بعبارة رؤيا الحكماء والملوك دون الطغام وذلك لان له حظا من النبوة وقد قال عليه الصلاة والسلام الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وهذا العلم يحتاج الى مناسبة بين متحريه وبينه فرب حكيم لا يرزق حدقا فيه ورب نزر الخظ من الحكمة وسائر العلوم توجد له فيه قوة عجيبة وأما الزكاة فهو ضرب من القراسة وهي معوفة فعل باطن يفعل ظاهر بضرب من التوهم والقيافة ضرب من الزكاة لكنها أدق وهي ضربان أحدهما يتبع أثر الاقدام والاستدلال به على السالكين والثاني الاستدلال بهيئة الانسان وشكله على نسبه ونخص بالقيافة من العرب بنو مدح وقيل ان ذلك بمناسبة طبيعة لا تعلم وهي محكوم بها في الشرع وقال بعض الحكماء خص الله بذلك العرب ليكون سببا لارتداع نساءهم عما يورث ثقب نسبهم وخيب حسهم وفساد بدورهم وزور وعهم صيانة للنسبة النبوية ولاجل حفظه تعالى نسبهم بذلك قال تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أي ليعرف بعضهم بعضا بمعرفة أصله والكهانة مختصة بالامور المستقبلية والعرافة بالامور الماضية وكان ذلك في العرب كثيرا وآخر من وجد

وروي عنه الاخبار العجيبة سطح وسواد بن قارب وقيل كان وجود ذلك في
العرب أحد أسباب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يخبر به ويحث على
اتباعه ونزع ذلك عنهم بعد النبوة حتى روي لا كنهانة بعد النبوة وقال عليه
الصلاة والسلام من أتى كاهنأ وعرافا فصدقه بما في به فقد كفر بما أنزل على
محمد صلى الله عليه وسلم تنبيه على أنه قد رفع ومما يجري مجراهما التطير وهو
تشاؤم الانسان بشئ يقع تحت المناظر والسماع مما تغر منه النفس مما ليس بطبيعي
فأما نفاهاهما هو طبيخي في الانسان كنفاره من صرير الحديد وصوت الخمار
فلا يعد من هذا واشتقاقه من الطير وأصله في زجر الطير ومساواه لمخوق به قال
وما أنا من زجر الطير حوله * أصاح غراب أم تعرض طائر

ثم كثر في غيره حتى قال تعالى حكاية قالوا طيرنا بك ونحن قال طائر كم عند
الله أي السبب الذي يسعدكم أو يشقيكم عند الله وقال تعالى فان تصبهم سيئة
يطيروا يموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله وسعى عمل الانسان الذي يعاقب
عليه طائرا فقال تعالى وكل انسان أنزله طائره في عنقه والنظر احواله
الخمار نحو المرقى لا دراك البصيرة اياه قلب عينا كما ان للبدن عينا فمن صح
عين قلبه وأعطاه نور الله اطلع على حقائق الاشياء وأدرك العالم العلوى وهو
في الدنيا يرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وله كون
الاطلاع عليه قال أمير المؤمنين لو كشف الغطاء ما زدت يقينا والرأى احواله
لخاطر في رؤيته ما يريد وقد يقال للقضية التي تثبت عن الرأى رأى والرأى
للفكرة كالألة للصانع التي لا يستغنى عنها ويكون في الامور الممكنة دون
الواجبة والممتنع ليكون من جملة الممكنات فيما يكون لنا فالطبيب لا يحيل
رأيه في نفس البره بل يكون في كيفية الوصول اليه ويحتاج الرأى الى أربعة
أشياء اثنان من جهة الزمان القديم والتأخير أحدهما ان يعيد النظر
فيما يرتبه لقوله عليه الصلاة والسلام تفكروا في لاله الا الله ولا تفكروا
في الله قال تعالى أولم تفكروا في ملكوت السموات والارض وقال تعالى يبين
الله لكم الآيات لعلكم تفكرون وسئل بعض الحكماء عن الفكرة والعبرة
فقال الفكرة ان تجعل الغائب حاضرا والعبرة ان تجعل الحاضر غائبا
وأما الذي روي في القلب أروى الاسان وذلك ان الشئ له أربع

وجودات وجوده في ذاته ووجوده في قلب الانسان ووجوده في لفظه ووجوده في كتابته فوجوده في ذاته سبب لوجوده في قلبه ووجوده في قلبه سبب لوجوده في لفظه ووجوده في كتابته و يقال للوجودين أي الوجود في القلب والوجود في اللسان الذكرا ولا اعتداد بذكرا اللسان ما لم يكن ذلك عن ذكر في القلب بل لا يكون ذلك شيئا والذكرا بالقلب ضربان أحدهما الاستعادة ما قد استنبته القلب فأبغى عنه نسيانا أو غفلة وهذا في الحقيقة هو التذكير والثاني ثبات وجود الشيء في القلب من غير نسيان ولا غفلة وذكر الله تعالى على نحو الاول غير مرتضى عند الاولياء وانما يحمد اذا كان على النحو الثاني واعلم ان ذكر الله تعالى تارة يكون لعظمته في تولد منه الهيبة فالأجل وتارة يكون لقدرته في تولد منه الخوف والحزن وتارة لنعمة في تولد منه الشكر ولذلك قيل ذكر النعمة شكرها وتارة لأفعاله الباهرة في تولد منه العبر فيحق المؤمن الا ينفك أبدا عن ذكره على احده هذه الالوجه وعليه دل قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله الاية أي يذكرونه في كل حال لان الانسان لا ينفك من هذه الالوجه الثلاثة ان قيل ما حقيقة ذكر الله تعالى عند ابتداء الاعمال حتى قيل كل امر لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أتر قيل بانه بذلك على أن الامور كلها يجب أن يقصد بها وجه الله تعالى وأن كل امر لا يقصد به ذلك فهو ناقص وشرع ذكره باللسان ليكون ذلك سببا للتذكير فيتحري به وجه الله تعالى ولا يعمل ما ينافي رضاه وعلى ذلك قوله واذا كررك اذا نسيت أي اذا عرض لك نسيان ما يلزمك فاذا كررك تذكر كانه مطلع عليك ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وأما الحفظ فالمواظبة على مراعات الشيء وقلة الغفلة عنه ومنه محافظة الحرم حتى قيل للغضب المقتضى لذلك حفيظة ويقال الثبات صورة الشيء في القلب الحفظ ويقال للقوة المحافظة أيضا حفظ وفلان جسد الحفظ أي القوة المحافظة والحفظ للنفس من وجه جار مجرى الخزانة للمالك يضع فيها الذخائر الى وقت الحاجة ومن وجه جار مجرى الكتاب الذي يكتب فيه الشيء فيرجع اليه ليتذكر به والناس متفاوتون فيه بحسب أمزجتهم فمنهم من قوى الله تعالى ذلك منه كما جعله لنبيه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فذلك كان له

من الحفظ ما يكفيه ويغنيه عن الاستعانة بالكتابة ولهذا قال الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فضعن انه يحفظ عليه بما جهر له فيه من القوة الالهية وروى انه لما نزل قوله تعالى وتعيها اذن واعية قال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله تعالى عنه سألت الله تعالى ان يجعلها اذنك فلم يسمع بعد ذلك شيئا الا وعاء ومن الناس من يسمع اليه التسميان فاسمعه يكون كالحفظ يكتب على بسيط المساء وأما البلاغة فاجادة اختيار الالفاظ والاصابة في تأليفها وقدرها ومعناها وتحرى الصدق فيها ولا يكون الكلام تام البلاغة ما لم يجمع هذه المعاني فانه ان قبح اللفظ أو قبح التأليف أو كان أكثر مما يجب أو أقل مما يجب أو لم يطابق اللفظ المعنى إما حقيقة أو استعارة رائعة أو كان المعنى محالا أو كذبا خرج الكلام بقدر ما اختل منه عن باب البلاغة وقد وصفت البلاغة بأوصاف مختلفة بحسب انظار مختلفة فقال بعضهم البلاغة هي الاجازة من غير عجز والاطناب في غير عطل وقيل ما فهمه العامة ورضيه الخاصة والى غير ذلك من الاوصاف وأما الفصاحة فاشتقاقها من فصيح اللين أى خالص وهى الاصابة في اللفظ في الاشتلاف دون اعتبار الصدق و صواب المعنى فكل كلام خزل اللفظ حسن التركيب فهو صوف بالفصاحة صدقا كان أو كذبا فالبلاغة ترجع الى اللفظ والمعنى والفصاحة الى اللفظ دون المعنى

*) (الباب الثامن ثمرة العقل من معرفة الله الضرورية
والمكسبة وغاية ما يبلغه الانسان) *

من أشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى وحسن طاعته والسكف عن معصيته وعلى ذلك دل قوله عليه الصلاة والسلام العقل ثلاثة أجزاء جزؤه معرفة الله وجزؤه طاعة الله وجزؤه الصبر عن معصية الله وقال عليه الصلاة والسلام الايمان عربان ولباسه التقوى وزينته الحياء وماله العفة وثمرته العلم بمعرفة الله العامية مركوزة في النفس وهى معرفة كل أحد انه مفعول وان له فاعلا فعمله ونقله فالاحوال المختلفة وهى المشار اليها بقوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها وبقوله صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة وبقوله واذا حذر بك من بنى

آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية فهذا القدر من المعرفة في نفس كل واحد
ويتنبه الغافل اذ انبه عليه في معرفه ويعرف ان ما هو مساو لغيره فذلك الغير
مساو له ومن هذا الوجه قال ولئن سألتهم من خالق السموات والارض ليقولن
الله قال في مخاطبة المؤمنين والكافرين فاليه تجأرون وقال بعده ثم اذا
كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بر بهم يشركون وأما معرفة الله المكتسبة
بمعرفة توحيده وصفاته وما يجب ان يثبت له من الصفات وما يجب ان ينفي عنه
وهذه المعرفة هي التي دعت اليها الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولهذا قال كلهم
قولوا لا اله الا الله ولم يدع أحدا الى معرفة الله تعالى بل دعا الى توحيده وهذه
المعرفة أعنى المكتسبة على ثلاثة أضرب ضرب لا يكاد يدركه الانبي وصاديق
وشهيد ومن دافعناهم وذلك المعرفة بانوار الالهى من حيث لا يعتريه شك بوجه كما
قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وضرب يدرك
بغلبة الظن أعنى الظن الذي يفسره أهل اللغة باليقين كما قال تعالى الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون وضرب يدرك بخيالات ومثل وتقليدات
وايا معنى بتوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون فالاول يجرى مجرى
ادراك الشئ من قريب ولهذا قال الله تعالى في وصفهم ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد والثاني يجرى مجرى ادراك الشئ من
بعيد وقد تترىبه شبهة لكن تزول بأدنى تأمل كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا
مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والثالث يجرى مجرى من
يرى الشئ من وراء ستار من بعيد فلا ينفك من شبهات كما أخبر تعالى عن هذه
حالته بقوله ان نظن الاظنا وما نحن بمستيقنين ولاجل معرفة الله تعالى على
الحقيقة حتى يتخلص من أفات الشرك قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم
مشركون وقال تعالى قل انى أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين وقال تعالى
وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى قل الله أعبد مخلصا
له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه وقال عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا
الله مخلصا دخل الجنة غاية معرفة الانسان ربه ان يعرف أجناس الموجودات
جواهرها وأعراضها المحسوسة والمعتولة ويعرف اثر الصنعة فيها وانما المحدثات
وأن محدثها ليس اياها ولا مآلها بل هو الذى يصح ارتفاع كلها مع بقائه تعالى

ولا يصح بقاؤها وارتفاعه وبهذا النظر قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
 سبحان من لم يجعل خلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالجبر من معرفته بل لهذا قال
 عليه الصلاة والسلام تفكروا في لاله الا الله ولا تتفكروا في ذات الله ولما
 كانت معرفته كله تصعب على الانسان الواحد لقصور أفهام بعضهم عنها
 واشتغال بعضهم بالضرورات التي يعرفها منهم جعل تعالى لكل انسان من نفسه
 وبدنه عالما صغيرا أو جديدا في مثال ما هو موجود في العالم الكبير ليحس ذلك
 من العالم بحسرى مختصر من كتاب بسيط يكون مع كل أحد نسخة يتأملها في الحاضر
 الى السفر والليل والنهار فان نشط وتفكر غلة وسط في العلم نظري في العالم الكبير
 الكتاب الكبير الذي هو المال كوت اغزر علمه ويتسع فهمه والافله مقنع بالمختصر
 الذي معه ولهذا قال وفي أنفسكم أفلا تبصرون ولشرف متأمل ذلك قال تعالى
 أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وقال تعالى ان
 في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب
 الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية فنبههم بحسبهم حيث قالوا
 ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك أنهم عرفوا المقصود بمخلقه وذلك آخر الابحاث
 لأن الابحاث أربعة بحث عن وجود الشيء - بل هو وبحث عن جنسه عما هو
 وبحث عما يبين به غيره بأشياء هو وبحث عن الغرض بلم هو وهذه الابحاث
 يمتنى بعضها على بعض لا يصح معرفة الثاني الا بمعرفة الاول ولا معرفة الرابع
 الا بمعرفة الثالث وقولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا لانه قضى أنهم عرفوا الابحاث
 الأربعة والشاهدوا بما لم يتحققوا ومن شهد بما لم يتحقق كذب وان كان ما شهد
 على ما شهد به لا ترى ان الله تعالى كذب المنافقين حيث قالوا انك لرسول الله
 مع انه رسوله فدللت هذه الآية على ان البحث الذي يؤدي الى معرفة حقائق
 الموجودات التي تتضمن معرفة الباري تعالى هو من العلوم الشرعية بخلاف قول
 الصم البكم الذين لم يجعل الله لهم نورا حيث يدعون من اشتغل بمعرفة ذلك

*(الباب التاسع وجوب بعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

وقوله الاستغناء عنهم)*

بعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الناس من الضرورات التي لا بداهم منها

وذلك

وذلك ان جل الناس نقص عن معرفة منافعهم ومضارهم الاخرية جزئياتها
وكلياتها وبعضهم وان كان لهم سبيل الى معرفة كليات ذلك على سبيل الحجة
فليس لهم سبيل الى معرفة جزئياتها ولم يمكنهم ان يعرفوا كيف يجب وفي أي
وقت يجب وكيف فلما كان كذلك من الله تعالى على كافة عبادهم خاصة
وعامة بعث فيهم من أنفسهم يرسل يتلون عليهم آياته وينزل عليهم
الكتاب والحكمة لكي اذا تمسكوا به صلح معادهم ومعاشهم وهدى لهم
ادراكهم ولهذا ازال عنهم بيعة الانبياء فقال تعالى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا

(الباب العاشر ما يعرف به صحة النبوة)

لكل نبي آياتان أحدهما عقلية يعرفها أولوا البصائر من الشهداء والصالحين
ومن يجزى عجزهم والثانية حسية يدركها أولوا الابصار من العامة فالأولى
مالهم من أصولهم الزكية وصورهم المرضية وعلومهم الباهرة ودلائلهم
المتقدمة عليهم والمستحبة وأنوارهم لسطعة التي لا تخفى على أولى البصائر كما
قال الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

لولا يكن فيه آيات بيينة * كانت يدها ته تغنيك عن غيره

وذلك ان حق النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون من أكرم تربة في العالم وحيث
يكون عقل أربابها أوفر ولهذا لم يثبت نبي من الاطراف التي تضعف عقول
أصحابها ولهذا قال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآية ونبه بقوله ذرية بعضها
من بعض انه جعل النبوة في بيت واحد ولا يخرج عنه لكونه أشرف ويجب أن
يكون عليهم أنوار تروق من رآها وأخلاق تتلاق من ابتلاها كما قال تعالى وانقيت
عليك محبة مني وقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لعل خلق عظيم ويجب ان
يكون كلامه ذاجعة وبيان يشفي سامعه اذا كان مخلصا بشورا العقل ولذلك قال
تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا الآية وهذه الاحوال اذا حصلت
لا يحتاج ذو البصيرة معها الى معجزة ولا يطلبها كما لا يطلب الانبياء من الملائكة
فيما يخبرونهم به حجة ولهذا لما عرض النبي صلى الله عليه وسلم على الصديق
رضي الله تعالى عنه الاسلام تلقاه بالقبول حتى قال ما أهدى عرضت عليه الاسلام

الا كانت له كبروة غير أني بكرفانه لم يتابعهم فيه وأما الآية الثانية فهي المجيزة التي تدركها المحواسن من الانبياء وذلك يطلبه احد رجلين اما ناقص عن الفرق بين الكلام الالهي وبين البشري وعن ادراك سائر ما تقدم ذكره فيحتاج ما يدركه حسه لقصوره عن ادراك ذلك واما ناقص ومع نقصه هو معاند فقصده بما يطلبه العناد كما قال تعالى حكاية عن الكفار وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجزلنا من الارض ينبوعا الآية

(الباب الحادي عشر كون العقل وارسل هاديين الخلق الى الحق)

لله عز وجل رسولان الى خلائفه أحدهما من الباطن وهو العقل والثناني من الظاهر وهو الرسول ولا سبيل لاحد بالانقياد بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانقياد بالباطن فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر ولولاه لما كان تلزم الحجة وهذا حال الله من يشكك في وحدانيته وصحة نبوة أنبيائه على العقل وأمران يفرع اليه في معرفة صحتها فالعقل قائد والدين مسند ولولم يكن العقل لم يكن الدين باقيا ولولم يكن الدين لاصبح العقل حائرا واجتماعهما كما قال تعالى نور على نور

*(الباب الثاني عشر تعذر ادراك العلوم النبوية على

من لم يتهدب في العلوم العقلية)*

المعقولات تجري مجرى الادوية الجالبة للحكة والشرعيات تجري مجرى الاغذية المحافظة للحكة كما ان الجسم متى كان مريضا لم ينتفع بالاغذية بل ينضر بها كذلك من كان مريضا النفس كما قال تعالى في قلوبهم مرض لم يندفع بسماع القرآن الذي هو موضوع الشرعيات بل صار ذلك ضارا لله مفسدة الغذاء للمريض وعلى هذا قوله تعالى واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أياكم زادته هذه ايمانا والآتيان وأيضا فالقلب بمنزلة مزرعة للمعتقدات والاعتقاد فيه بمنزلة البذر ان خيرا وان شرا وكلام الله بمنزلة الماء اذا سقى الارض فختلف تأثيراته والى ذلك أشار تعالى بقوله وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب الآية وقال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه الآية وأيضا فالجهل بالمعقولات جار

يترى ستر مخي على البصر وغشاء على القلب ووقر في الاذن وانقرآن لا يدرك
حقائقه الا من كشف غطاؤه ورفع غشاؤه وأزيل وقره ولهذا قال تعالى
واذا قرأت القرآن جعلنا الى قوله وقرا وايضا في المعقولات كالحياة التي بها
الاسماع والابصار والقرآن كالمدرج بالبصر والسمع فكما ان من المحال ان
يسمع الميت قبل ان يصعد الله فيه الروح والسمع والبصر كذلك من المحال ان
يدرك من لم يحصل المعقولات حقائق الشريع ولهذا قال الله تعالى فانك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء الى قوله الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون يعني
آيات السموات والارض وغيرهما

* (الباب الثالث عشر الايمان والاسلام والتقى والبر) *

الايمان هو الادعاء الى الحق على سبيل التصديق له واليقين ولهذا وصف
الله الايمان والعلم بوصف واحد فقال انما ينشئ الله من عباده العلماء وقال
انما المؤمنون الذين اذكرا لله وجلست قلوبهم ووجل القلب هو الخشية للحق
على سبيل التصديق له باليقين هذا أصلي الايمان لكن صار اسما شريعة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالاسلام وصح أن يطلق على من يظهر ذلك
وان لم يتخصص به اعتقادا وثلب صدر كالمودى في أن أصله للنسب الى يهود
والنصراني في أن أصله للنسب الى نصران وهي قرية ثم صار اسمين
للتخصصين بالشريعتين على ان اشتقاق الايمان لا يمنع من ان يطلق على من
يظهره فان المؤمن هو من صار ذا أمن وبإظهار الشهادتين يأمن الانسان
من ان يراق دمه أو يباح ماله في المحكم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام من
قال لا اله الا الله فقد عصم مناده وماله الا بحق وروى شهادة أن لا اله الا الله
كلمة جعلها الله بيننا وبين قلوبنا من قلبه فهو مؤمن ومن قالها بلسانه كان له
مالنا وعليه ما علينا وحسابه على الله وذلك أنه لا يطاع على القلوب الا الخالق
تعالى والشريعة واردة ان يطلق اسم الايمان على من يظهر ذلك من نفسه من
غير فحص عن قائله ولا يتعاشى من اطلاق ذلك عليه ما لم يظهر منه ما ينافي
الايمان بخلاف ما دعت به المعتزلة بأنه لا يصح اطلاق المؤمن على الانسان
ما لم يحتجب في الاصول الخفية ويوقف منه على حقيقة ما عنده والاسلام هو

الاستسلام بما يدعو اليه الشرع من قول ما يقتضى فعله والملة القود الى
 الطاعة والدين الانقياد له وهما بالذات واحد لكن الدين هو الطاعة
 فيقال اعتبارا بفعل المدعو في انقياده الى الطاعة والملة من أمليات السكاب
 فيقال اعتبارا بفعل الداعي اليها والشارع لها وليكنهما بالذات واحدا قال
 تعالى دينا قبيلا لآبراهيم خنيفا فايدل الملة من الدين والدين أعم من الاسلام
 اذ هو يستعمل في الحق والباطل والاسلام لا يستعمل الا في الحق ولهذا قال
 الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال ومن يتبع غير الاسلام دينسا
 فلن يقبل منه والاحسان تجرى الحسنه في الايمان والاسلام ولهذا قال
 عليه الصلاة والسلام لما قيل له ما الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه
 والتقوى جعل النفس في وقاية من سخط الله تعالى وذلك بقمع الهوى والبر
 السعة في علم الحق وفعل الخير مشتق من البر أى السعة في الارض وهو المبر
 عنه بان شراح الصدر واطمئنان القلب وقال عليه الصلاة والسلام البر
 ما سكنت اليه نفسك واطمأنت به قلبك والاتم ما جال في نفسك وتردد في
 صدرك وقال البر طمأنينة والتمريية ومن البر الجود ولاجله جعل
 الجود من الايمان قال الله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
 ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والاخلاص
 ان يقصد الانسان بما يفعله وجهه الله تعالى متعريا عن الالتفات الى غيره
 ولذلك قال الله تعالى وما أروا الا يعبدوا الله مخلصين له الدين واقله
 وجود ذلك قال الله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ولما
 كان الايمان يقال باعتبار العلم وهو متعلق بالقلب والاسلام بفعل الجوارح
 والتقوى بقمع الهوى قال صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان في
 القلب والتقوى ههنا وأشار الى صدره لما كان الصدر مرقى الى الانسان
 من الفكرة والشهوة والغضب ثم قال ولا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم
 قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال الايمان قائد والعقل سائق
 والنفس حرون فان أبى قائدها لم يستقم سائقها وان أبى سائقها لم تطع
 قائدها ولما كان الايمان والاسلام والتقوى متلازمة قال في الجنة أعدت
 للمتقين وقال في موضع آخر وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت

للذين آمنوا وقال ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد أوفى عهده الآية

(الباب الرابع عشر في الإيمان)

اختلاف في الإيمان هل هو الاعتقاد المجرد أم الاعتقاد والعمل معا واختلافهم بحسب اختلاف نظائرهم فن قال هو الاعتقاد المجرد فنظر منه إلى اشتقاق اللفظ وإلى أنه قد فصل بينهما في عامة القرآن فمطف بالعمل عليه كقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولأن النبي صلى الله عليه وسلم فرق بينهما في خبر جبريل عليه السلام حين سأله عن الإسلام والإيمان ففهم الأول بالأعمال والثاني بالاعتقاد ومن قال هو الاعتقاد والعمل فلقوله عليه الصلاة والسلام الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان وكذلك اختلاف أهل يكون في الإيمان زيادة ونقصان فقال قوم يكون ذلك فيه لقوله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وقوله تعالى وإذا تلوت عليهم آياته زادتهم إيماناً وقوله ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ومن خالفهم يقول الشئ اتخاين يد يغلبته على ضده وينقص بقلبه ضده عليه قالوا والإيمان لا يحصل إلا بعد الغلبة على الكفر فلا يضامه حتى يقال إنه يغلب عليه وكذلك اختلفوا في جواز إطلاق اسم الإيمان على من أقرب بالشهادتين فكان بعضهم يجوز ذلك نظر منه إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم في المجاورة التي سأله عن الله فأشارت إلى السماء وعن النبوة فأشارت إليه صلى الله عليه وسلم فقال اعتقها فإنها مؤمنة ولأن الإيمان ليس بذي منزلة واحدة ومن قال لا يجوز فنظر منه إلى قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم لم يسمعون له عليه الصلاة والسلام أنه قال من قال أنا مؤمن فهو فاسق ومن قال أنا عالم فهو جاهل إن قيل ما معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا يزن الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن قيل الإيمان ذو منازل كما وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله إنما يكون الإنسان مؤمناً بلامثنوية إذا استوعب منازل فتعري من جميع الشرور وتخصص بجميع الخيرات على قدر طاقة البشر وفي الأخير من ذلك يخرج عما هو كقولهم عشرة في كونه اسماً لعدد مخصوص إذا سقط بعضه

سقط ذلك الاسم عنه ومن شرط الايمان الكمال ان لا يسكون زانيا ولا سارقا

« (الباب الخامس عشر في أنواع الجهل) »

الانسان في الجهل على أربعة منازل الاول من لا يعتقد اعتقادا لاصالحا ولا طالحا وأمره في ارشاده سهل اذا كان طيعا فانه كلوح أبيض لم يشغله نقش وكأرض بيضاء لم يلق فيها بذر ويقال له باعتبار العلم النظري غفل وباعتبار العلم العملي غر ويقال له سليم الصدر والثاني معتقد لرأي فاسد لكنه لم ينشأ عليه ولم يترب به فاستتر له عنه سهل وان كان أصعب من الاول فانه كلوح يحتاج الى حذف وكاتبه وكأرض تحتاج الى قلع وزراعة ويقال له غاو وضال والثالث معتقد لرأي فاسد قد درأه قد تراءت له صحته فركن اليه بجهله وضعف بصيرته فهو من وصفه الله تعالى بقوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون لاسيما الى تنبيهه وتهذيبه كما قيل لحكيم يعظ شيخا جاهلا ما تصنع فقال اغسل مسحا ان ابيض والرابع معتقد اعتقادا فاسدا عرف فساده وتمكن من معرفته لكنه اكنس بصدنية لرأسه وكرسا لرياسته فهو محامي عليها فيجادل بالباطل ليدحض به الحق ويذم أهل العلم ليحجرا في نفسه الخلق ويقال له فاسق وعناق وهو من الموصوفين بالاستسكار والتكبر في تحوقره تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفروا لكم رسول الله اتوا رؤسهم وقوله تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون فنبه الله تعالى انهم ينكرون ما يقولونه ويفعلونه لمعرفتهم ببطالانه لاسكن يستكبرون عن التزام الحق وذلك حال ابليس فيما دعى اليه من السجود لآدم عليه السلام والمجنون هو عارض بغير العقل والحق قلة التنبه لطريق الحق وكاذهما يكون نارة خائفة ونارة عارضا وقد عظم الحق ما لم يعظم المجنون وقد قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة اعمت من يداويها

وقد حكى حكاية وهي وان لم تصح فنافع ذكرها وهي ان عيسى عليه السلام أتى باحق ليدوايه فقال أعياني مداواة الاحق ولم يعينني مداواة الاكاه والابصر ومما يفرق بينهم ان المجنون يكون غرضه الذي يريد ويرومه فاسدا

فاسد وسلوكه اليه خطأ ولهذا يعرف المجنون اذا روى بارادته قبل سلوكه الى
مراده والاحق لا يعرف بمراده بل بسلوكه ولهذا متى صح ارادة المجنون صح فعله
حتى تتجيب كثير من فلتات صوابه والاحق لا يكاد يصيب في شيء من مسالكه
وأما البله فقله التنبيه في الامور ويضاده الكيس وقد تقدم ان البله
والكيس يتالان تارة باعتبار الامور الانشائية فمن كان في أحدهما كيسا كان
في الاخرى ابله وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه أ كيس الكيس التقي وأحق
الحق الفجور وأما الرقيع فالذي يصدق بقلبه كل محال كأنه لصق بذلك والارعن
الذي يأتي بما يخرج عن الصواب تشبها برعن الجبل وهو الخيم منه والاحق
الناقص العقل من قولهم انهم قمت السوق أى نقصت والعمارة قلة التجربة في
الامور العملية مع تخيل سليم وقد يكون الانسان غمرا في شيء غير غمرا في غيره
والخندق يقال في الجاهل بالامور العملية وذلك بأن يفعل أكثر مما يجب أو أقل
على غير النظام المحمود وفساد كل عمل لا بعد هذه الوجوه الثلاثة ويضاده الخندق
والمنفى ارتكاب الذمى وترك ما يقتضيه الحق والعقل والخلال ان يقصد
لا اعتقاد الحق أو قول الصدق أو فعل الجميل فظن لسوء تصور فيه ما كان باطلا
انه حق فاعتقده أو فيما كان كذبا انه صدق ففعله أو فيما كان قبيحا انه جميل
ففعله والجهل عام في ذلك كله والخب استعمال الدهاء في الامور الدنيوية
صغيرة وكبيرها والجربة مسئلة لكن يتال فيما يقتضى الامور الدينية
والدهاء لكن يتال في الامور العظام اذا درك غاياتها ولهذا قالوا الدهاء
في الاسلام اربعة فذكر والمتوجهين في الحالات الدنيوية الذين يلغون بها
أمورا كبارا ومن الجهل الكفر وهو عناد الانسان للحق على سبيل التمكن كذبيبة
لا ييقن وأصله من سنن ما جهل الله لا لانسان بفطرته وصفته من المعارف بما
يستعمله ويتعمده من عناد الحق ومن ترك النظر والاخلال تركيبة النفس
المعنى بقرله تعالى قد أفلم من كاهها وقد خاب من دساها

*(الباب السادس عشر في قول النبي صلى الله عليه وسلم

الايمن يضع وسبعون بابا)*

ثبت الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان يضع وسبعون بابا

اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وأدناها الماطة الاذي عن الطريق وهذه النقطه
من تأملها وعرف حقيقتها علم أن الايمان الواجب هو اثنان وسبعون درجة
لا يصح ان يكون أكثر منها ولا أقل ولا يوجد من الايمان ما هو خارج عنها
بوجه صادق والله عليه الصلاة والسلام فيما يورده كما وصفه عز وجل بقوله
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى وبيان ذلك ان
الايمان شيان اعتقاد وأعمال والاعتقاد على ثلاث منازل يتنزل لا يعتبر به شبهة
كما قال تعالى الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ووظني وهو ما كان عن
امارة قوية وأعني بالظن ههنا ما يفسره أهل اللغة باليقين فهو قوله الذين
يظنون انهم ملائكة وارسلهم واتهم اليه راجعون وتقليدي وذلك ما يعتقده عن
رأى أهل البصائر كما وصفه تعالى بقوله ولوردوه الى الرسول والى اولى الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم والاعمال ثلاثة عمارة الارض المعنوية
بقوله تعالى واستعبركم فيها وعبادته المعنوية بقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وخلافتها المعنوية بقوله ويستخلفكم في الارض وقوله اني جاء علي
في الارض خليفة وذلك بشعري مكارم الشريعة فهذه ستة وكل واحد من
هذه اما يتحرراه الانسان عن رغبة أو رهبة كما قال ويدعوننا رغبا ورهبا
أو يتحرراه عن اخلاص بطوع واختصاص نفس كما قال تعالى واخلصوا
دينهم لله فهذه اثنتا عشرة منزلة وكل واحدة من هذه اما ان يكون الانسان
في مبدئه أوفى وسطه أوفى منتهاه لان كل فضيلة ووريلة لا ينفك الانسان فيه
من هذه الاحوال الثلاث ولهذا قال الله تعالى في الفضيلة ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية وقال في الرذيلة ان الذين
آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا الآية فجعل منازل الايمان
ومنازل التقوى ثلاثة كما ترى فهذه اثنا عشرة في ثلاثة ستة وثلاثين وكل
واحد من هذه الستة والثلاثين اما ان يتوصل اليه من طريق الاجتهاد أو
من طريق الهداية فالاجتهاد الانبياء ومن يليهم من الاولياء وهو يشار الله تعالى
بعض عباد به فيض الهى تأتيمهم الحكمة بلا سعي منهم وعلى هذا قوله تعالى
وكذلك يجتدك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث وقوله ولكن الله يجتبي
من رسله من يشاء والاهتداء للعلماء والحكماء وهو توفيق الله تعالى العبد

ليطلب بسعيه وجهه الحكمة فيحصل له منها بقدر ما يتحمل من المشقة
واياها معنى بقوله تعالى الله يحبني اليه من يشاء ويمضي اليه من يذنب وقوله
ومن هدينا واجتبتنا فهذه اثنتان وسبعون درجة لا يمكن الزيادة عليها ولا
النقصان عنها وكل ما ورد من الاجار فليس بخارج عنها والله الموفق فما هو من
جملة العبادة قوله عليها الصلاة والسلام والوضوء شرط الايمان وقوله الايمان
الصلاة من فرغها قلبه واقامها بحدودها ووقتها وسنتها ومساها من مكارم
الشريعة قوله عليها الصلاة والسلام الحياء من الايمان وقال لا يجمع ايمان وشح
في قلب عبد وقوله ثلاث من جمعهن جميع الايمان الانفاق من الاقتار
وانصاف المؤمن من نفسه وبذل السلام وقوله عليها الصلاة والسلام اكل
المؤمن من أحسنهم خلقا وأطعمهم بأهله وقوله لاناس من أصحابه ما يمانكم
قالوا الصبر على البلاء ونشكر في الرخاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم
مؤمنون وروب السكينة

(الباب السابع عشر كون العلم مركزا في نفوس الناس)

الانسان معدن الحكمة والعلوم وهي مركوزة فيها مفعولة بالفطرة لها وبالقوة
كالنار في الحجر والنخل في النواة والذهب في المجارة وكالماء تحت الارض لكن
لا يوصل اليه الا بدلو ورشاء ومنه ما هو كامن يحتاج في استنباطه الى حفر وتعب
شديد فان عني به أدرك والابق غير منتفع به كذا العلم في نفوس البشر منه
ما يوجد من غير تعلم بشري وذلك كحال الانبياء فانهم تفيض عليهم المعارف من جهة
اللا الاعلى ومنه ما يوجد بدني تعلم ومنه ما يصعب وجوده كحال عوام الناس
ولكون العلوم مركوزة في النفوس قال تعالى واذا خذ ربك من بنى آدم من
ظهورهم ذرياتهم واشهدهم الآية فأقروا ان الله هو الذي يرزقهم ويغذيهم
ويرزقهم ويحكمهم من الطغوانية فهو اقرار نفوسهم كلهم بمساكن في عقولهم فأما
الاقرار باللسان فلم يحصل من كلهم وكذا المعنى بقوله واثن سألهم من خلقهم
ليقولن الله أي لئن اعتبرت أحوالهم لسكانت نفوسهم وجوارحهم تنطق بذلك
وعلى ذلك قوله فاقم وجهك للدين حنيفا الآية فبين ان الدين الحنيف وهو
المستقيم قد فطر الناس عليه أي خلقهم عالمين به فان المعاندين وان قصروا

تبديله وازالة الناس عنه لم يتدروا عليه وعلى ذلك قوله تعالى صبغة الله ومن
أحسن من الله صبغة وقال فيمن قويت في قلوبهم الفطرة والصبغة أولئك الذين
كتب في قلوبهم الايمان فسمى ذلك كتابا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود
يولد على الفطرة وهذه الشهادة الأخوذة عليهم فالناس فيها ضربان ضرب باجلاوا
نحو اطرهم حتى أدركوا حقائقها فصاروا كمن حملوا شهادة فنسوها ثم تذكروها
ولذلك قال في غير موضع لعلمهم يذكرون وليتذكروا البسبب وضرب
أهملاوا أنفسهم ولم يشغلوا بتدكير ما حملوا كما قال واذا ذكروا لا يذكرون فهم
في الجاهلية يتسكعون وعلى هذا حثنا الله على التذكير بقوله واذكروا
نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به وقال واقد يسرنا القرآن لاذكركم
فهل من مدكر أي يسرنا القرآن ليكون سببا أن تتوصلوا به الى تذكركم
ما سبق من عهدكم والتذكير على ضرب الاول أن يكون باللسان عن صورة
ما حصل في القلب الثاني أن يكون في القلب كصورة حصلت عن شيء ماهر
امان البصر أو من البصيرة أو غيره من المشاعر والثالث أن يكون عن صورة
مضمنة بفطرة في الانسان وهو المشار اليه بهذه الآيات ومن هذا الوجه قال
الحكماء التعاليم ليس يجب للسان شيئا من خارج في الحقيقة وإنما يكشف
الغطاء عما حصل في النفس فيبرزه بخلا به فقله كشل الحافر المستبط الماء من
تحت الارض وكالصيقل الذي يبرز الجلاء في المرآة وهذا ظاهر ان نظر
بهمين عقلا

* (الباب الثامن عشر حصر أنواع المعلومات) *

أنواع المعلومات ثلاثة أنواع نوع يتعلق باللفظ ونوع يتعلق بالمعنى ونوع يتعلق
بالمعنى دون اللفظ أما المتعلقة باللفظ فهو ما يقتضيه تحصيل الالفاظ بوسائط
المعاني وذلك ضربان أحدهما حكم ذوات الالفاظ وهو علم اللغة والثاني حكم
لواحق الالفاظ وذلك شيئا كان شئ يشترك فيه النظم والنثر وهو علم الاشتقاق
وعلم النحو وعلم التصريف وشئ يختص به النظم وهو علم العروض وعلم القوافي
وأما النوع المتعلقة باللفظ والمعنى فمقسمة لضرب علم البراهين وعلم الجدل
وعلم الخطابة وعلم البلاغة وعلم الشعر وأما المتعلقة بالمعنى فضربان على

وعلى " فالعلمي " ما قصد به ان يعلم فقط وهو معرفة البارئ تعالى ومعرفة
النبوة ومعرفة الملائكة ومعرفة يوم القيمة ومعرفة العقل ومعرفة النفس
ومعرفة مبادئ الامور ومعرفة الاركان ومعرفة الآثار العلوية من الفلك
والنيرين والنجوم ومعرفة طبائع النباتات ويقال له علم الفلاحة ومعرفة
طبائع الحيوانات ومعرفة طبائع الانسان ويقال له علم الطب وأما العلمي
فهو ما يجب أن يعلم ثم يجعل به فتسمى تارة السنن والسياسات وتارة الشريعة
وتارة أحكام الشرع ومكارمه وذلك حكم العبادات وحكم المساملات وحكم
المطاعم وحكم المناسك وحكم المزاج والطرق التي يستفاد منها العلوم أربعة
أضرب الاول المستفاد من بديهة العقل ومصادمة الحس وذلك لسكل من لم يكن
مفتقودا لآلة وان اختلفت أحوالهم في ذلك الثاني المستفاد من جهة النظر
أما مقدمات عقلية أو مقدمات محسوسة الثالث المستفاد من خبر الناس أما
بسماع من أفواههم أو بالقراءة في كتبهم ولا يكون الخبر على الا ما كانت
المنطقة عن خبره مرتقعة والرابع ما كان عن الوحي أما بالسان ملك مرثي كما قال
تعالى نزل بالروح الامين على قلبك وأما بسماع كلام من غير مصادفة عين
كما سمع موسى عليه السلام وأما بالقاء في الروح في اليقظة كما قال عليه الصلاة
والسلام ان يكن في هذه الامة محدث فهو عمرو وأما بال المنام وهو المعنى بقوله الرؤيا
الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وينطوي على ذلك قوله تعالى
وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي
بأذنه من يشاء

(الباب التاسع عشر ما يعرف به فضيلة العلوم)

فضيلة العلم تعرف بشيئين أحدهما بشرف ثمرته والآخرة بوثاقه دلالاته وذلك
كشرف علم الدين على علم الطب فان ثمره علم الدين الوصول الى الحياة الابدية
وثمره علم الطب الوصول الى الحياة الدنيوية وعلم الدين أصرله مأخوذة عن الوحي
والطب أكثر أصوله من التجارب ورب علم يوفي على غيره باحد الوجهين وذلك
الغير يوفي عليه بالوجه الآخر كالطب مع الحساب فالطب شرف الثمر اذ هو
يفيد صحة البدن والحساب وثاقه دلالة اذ كان العلم به ضروريا غير مفتقر الى

التجربة وليس يجب ان يحكم بفساد علم الخطاء وقع من اربابه كصنيع العامة اذا وجدوا من اخطأ في مسألة حكموا على صناعته بالفساد واذا رآوا من اصاب في مسألة حكموا على صناعته بالحكمة وذلك عادة في الطب والتنجيم فيحكمون على الصناعة بالصنائع خلاف ما قال امير المؤمنين على "رضي الله تعالى عنه باحار الحق ملبوس عليك الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله وليس يدرون ان الصناعة مبنية على شيء روحاني والمتعاطي لها يباشرها جسم وطبيع يضامها العجز خالق بوقوع الخطأ منه ثم الانسان قد يتحمل ما لا يحسنه ويتدرع بدعوى ما لم تجز آله ثم كثير من يتخصص بصناعة يدعى لصناعته ما ليس من طبيعتها ككثير من المنجمين المدعين ما ليس في التنجيم فاذا الاعيرة بدعوى الناس

(الباب العشرون استحسن معرفة أنواع العلوم)

حق الانسان ان لا يترك شيأ من العلوم أمكنه النظر فيه واتسع العمر له الا ويخبر بشيء عرفه وبذوقه طيبه ثم ان ساعده القدر على التغذي به والترود منه فبها ونعمت والالم يصير كجعله ولغبا ورثه عن منفعة الاعمال ياله بطبعه

فمن يك ذا فهم مريض * يجده مرابه الماء الزلالا

فمن جهل شيأ عاداه والناس أعداء ما جهلوا بل قال الله تعالى واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وحكى عن بعض الفضلاء انه رؤي بعضا طعن في السن وهو يتعلم أشكال الهندسة فقبل له في ذلك فقال وجدته علمانا فعا فكرهت ان أكون كجهلى به معاد ياله ولا ينبغي للعاقل أن يستترين بشي من العلوم بل يجعل لكل حظه الذي يستحقه وينزله الذي يستوجب به ويشكر من هداه لفهمه وصار سببا لعلهم فقد حكى عن بعض الحكماء انه قال يجب ان نشكر آباءنا الذين ولدوا لنا الشكوك اذ كانوا سببا لما حرك نواظرننا لطلب العلم فضلا عن شكر من أفادنا طرقا من العلم ولو لا امكان فكم من تقدمنا لا صبح المتأخرون حيارى قاصرين عن فهم مصالح دنياهم فضلا عن مصالح أخراهم فمن تأمل حكمة الله تعالى في أقل آله يستعملها الناس كالمقراض حيث جمع بين سكينتين مركبتين وجه يتوا في حدهما على غلط واحد لا يقرض أكثر تعظيم

الله تعالى وشكره ويقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين

(الباب الحادي والعشرون معاداة بعض الناس لبعض العلوم)

العلم طريق الله تعالى ذو منازل قد وكل الله تعالى بكل منزلة منها حفظة كحفظه
الرباطات والثغور في طريق الحج والغزو فمن منازل معرفته التي عليها مبنى الشريعة
ثم حفظ كلام رب العزة ثم سماع الحديث ثم الفقه ثم علم الاخلاق والورع ثم
علم المعاملات وما بين ذلك من الوسائط من معرفة اصول البراهين والادلة
ولهذا قال هم درجات عند الله وقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات وكل واحد من هؤلاء الحفظ اذا عرف مقدار نفسه ومنزله في حق
ما هو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله ان يحفظ مكانه ثوابا على قدر علمه
ليكن قل ما ينقك كل منزل منها من شير في ذاته وشبهه في مكسبه وطالب زيارته
وجاهل محجب بنفسه نصير لاجل تنفيق سلته صار فاعن المنزل الذي فوق منزلته
من العلم وعائنه فلان ترى كثيرا من حصل في منزلة من منازل العلوم دون
الغاية عاثا لما فوقه وصار فاعنه من رايه فان قدر ان يصرف عنه الناس
بشبهة من خرفة فعل او ينفرا الناس عنه فعل فهو ممن قال الله تعالى فيهم وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وما أرى من هذا صنيعة
الامن وصفهم الله تعالى بقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة الآلية
وذكر الترمذي هذه المسئلة فقال اذا كان من يقطع على الناس طريق مكاسبهم
الديمية يستحقون ما ذكر الله تعالى بقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
الآلية فما الظن بما يستحق من العقوبة من يقطع الطريق على المسافرين الى
الله تعالى وقد حكى من عيسى عليه السلام انه قال يا علماء السوء قعدتم على
باب الجنة فلم تدخلوها ولم تدهوا غيركم يدخلها مثلكم كمثل الدفلى زهره حسن
وثمره يقتل من أكله

*(الباب الثاني والعشرون المبحث على تناول البلية)

من كل علم والاقتصار عليه)*

من كان قصده الوصول الى جوار الله فليتهوجه نحوه كما قال تعالى فغفروا الى الله

وكما أشار صلى الله عليه وسلم بقوله سافروا تغنموا فقهه ان يجعل العلوم كزاد
موضوع في منازل السـفر فيتناول منه في كل منزل قدر البليغة فلا يرجع على
نقيضه واستفراغ ما فيه فيقتضى الانسان نوعا واحدا من العلوم على الاستقصاء
يستفرغ فيه عمرا بل اعمارا ثم لا يدرك قهره ولا يعبر غوره ثم ينهنا الباري تعالى
على أن يفعل ذلك بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الآية وقال
الامام على كرم الله وجهه العلم كثير فخذوا من كل شيء أحسنه وقال الشاعر
قالوا اخذ العين من كل فقلت لهم * في العين فضل ولكن ناظرا العين
وقيل * حل طبعك بالعمى والفقر * فالعجز لا يسنيها فله الخـل اذا
كانت ثمرتها نافعة ويجب ان لا يخوض الانسان في فن حتى يتناول من الفن
الذي قبله على الترتيب بلغته ويقضى منه حاجته فازدحام العلم في السمع مضلة
للفهم وعليه قوله تعالى الذين آتيناهاهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أى لا يجاوزون
فنا حتى يحكموه علما وعملا ويجب ان يقدم الاهم فالاهم من غير اخلال بالترتيب
وكتب من الناس ثـكلوا الوصول بتركهم الاصول وحقه ان يكون قصده من
هـكل علم يتحرراه التبليغ به الى ما فوقه حتى يبلغ به النهاية والنهاية من العلوم
النظرية معرفة الله تعالى على الحقيقة والمصدوقة فالعلوم كلها خدام لها وهى
حرة وروى انه روى صورة حكيم من الحكماء فى بعض مساجدهم وفي يد
أحدهم اربعة فيمسان أحسنت كل شئ فلا تظن انك أحسنت شئاً حتى تعرف
الله وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل أن
عرفت الله تعالى أشرب وأظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب بل قد قال الله
تعالى ما قد أشار به الى ما هو أبلغ من حكمة كل حكيم قل الله ثم ذرهم أى أعرفه
حق المعرفة ولم يقصد بذلك ان يقول ذلك قولاً باللسان اللهم فذلك قليل
العناء ما لم يكن عن طوية خالصة ومعرفة حقيقية وعلى ذلك قال عليه الصلاة
والسلام من قال لا اله الا الله مخالصا دخل الجنة ويجب ان لا يتعري علمه عن
مراعات العمل فيه يتبلخ الا ترى انه ما خلى ذكر الايمان في عامة القرآن من
ذكر العمل الصالح كقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات والى ذلك أشار بقوله
تعالى اليه يصعد السكام الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل كثرة العلم من غير
العمل ما دلت النبوة وقيل العلم أس والعمل بناء والاس بناء باطل وقال رجل

لرجل يستكثر من العلم ولا يعمل يا هذا اذا أفنيت عمرك في جمع السلاح ففي
تقاتل وقال الشاعر ما يصلح ان يكون اشارة الى هذا المعنى
فعلام ان لم أشف نفسي آفة * يا صاحبي اجيد حمل سلاحك

(الباب الثالث والعشرون أحوال الانسان
في استفادة العلم وفادته) *

كما ان للانسان في حال مقتنياته أربعة أحوال حال استفادة فيكون مكتسبا
وحال ادخار فيكون ماساكتسبه ويكون به غنيا عن مسئله وحال انفاق فيصير
به متنفعا وحال افادته غيره فيصير به سخيا كذلكه ايضا في العلم أربعة أحوال
حال استفادة وحال تسخير لتحصيل وحال استبصار وحال تبصر وتعليم ومن
أصاب ما لا فائدة به ونفع مستحقه كان كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة
والمسكن الذي يطيب الناس وهو طيب وهذا أشرف المنازل ثم بعده من
استفاد علما فاستبصر به فاما من أفاد علمه غيره ولم ينتفع هو به فكالدقير يفيد
غيره الحكمة وهو مادمه وكالمسحوق لا يقطع كالمخزل يكسو ولا يكتسى
وكذبا له المصباح تحرق نفسه وتضيء لغيرها ومن استفاد علما ولم ينتفع هو به
ولا نفع غيره فانه

كالنخل يشرع شوكا لا يذود به * عن حياه كف جان وهو منتهب

(الباب الرابع والعشرون ما يجب على المتعلم ان يتحراه) *

حق المترشح لتعليم الحقائق ان يراعى ثلاثة أحوال الاول ان يطهر نفسه من
ردى الاخلاق تطهر الارض للبذر من خبائث النبات فقد تقدم ان الطاهر
لا يسكن الا بيتا طاهرا وان الملائكة لا تدخل بيته فيه كلب والشماني ان يقال
من الاشغال الدنيوية ليتوفر فراغه على العلوم الحقيقية

فصاحب التطواف يعمر منها * وربعا اذا لم يخل ربعا ومنها

وقد قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه والفكر متى توزعت
تكون كجدول تفرق ماؤه فينشقه الجوق وتتشربه الارض فلا يقع به نفع واذا
جمع بلغ المزرع فانتفع به والثالث أن لا يتكبر على معلمه ولا على العلم فالعلم

خواب للمتعالي كالسيل خراب للسكان العالی ولذا قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى
تعطيه كالك فان أعطيته كالك فانك من اعطائه اياك بعضه على خطر وكائننا
اياه عنى من قال

خدم العلى فخدمته وهى التى * لا تخدم الا قوام ما لم تخدم
ومنى لم يكن المتعلم من معلمه كارضدشة نالت مطرا غزيرا فتلقاه بالقبول لم ينتفع
به فحقه ان يضرع له كما قال تعالى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أى
ان له بنفسه علم يستغنى به أو تدالى لاستماع الحق واقتباسه من عنده العلم وقال
بعض العلماء فى قوله عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى اشارة
الى فضل المعلم على المتعلم وفى تبين فضل المعلم حث للمتعلم كالاقيادله وكما ان
حق المريض ان يكل الى الطبيب الناصح الذى وقف على دائه ليطالب الطبيب
دواءه وغذاه فانه ان تشهى لم يتشأ الا ما فيه داءه ولم يختار ما فيه شفاؤه

فمن يك ذا فم مريض * يجد مرابه الماء الذ لا
كذا من حق المتعلم اذا وجد معلمنا حقا ان يأتمر له ولا يتأمر عليه ولا يراده فمعنا
ليس بصدد تعلمه وكفى على ذلك تنبيها ما حكى الله عن العبد الصالح انه قال
لنوسى عليه وعلى جميع الانبياء السلام حيث قال هل أتبعك على ان تعلمنى عما
علمت رشدا فقال لا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانه عن مراجعته
وليس ذلك تنبيها بما حدث الله تعالى عليه فى قوله فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون وذلك لان النهى انما هو نهى عن نوع العلم الذى لم يبلغ منزلته بعد
والحث انما هو عن سؤال تفاصيل ما خفى عليه من النوع الذى هو بصدد تعلمه
وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم ان لا يصغى الى الاختلافات المشككة
والشبهة الملتبسة ما لم يتهدب فى قوانين ما هو بصدده امثلا تتولد له شبهة تعرفه
عن التوجه فيؤدى ذلك به الى الارتداد ولذلك نهى الله تعالى من لم يكن تقوى
فى الاسلام عن مخالطة الكفار فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من
دونكم لا يألونكم خبالا وقال تعالى ولا تتبعوا أهواء قوم قدضوا من قبل
الاية ولا جمل ذلك كره للعامة ان يجالسوا أهل الأهواء والبدع امثلا يقووهم
فالهامى اذا خلا بهل البدع فكالمشاة اذا خلت بالسبع وقال بعض الحكماء
انما حرم الله تعالى فى الابتداء لحم الخنزير لانه أراد ان يقطع العصمة بين العرب

وبين الذين كانوا يشككوكهم باجتماعهم معهم من اليهود والنصارى فحرم على المسلمين ذلك اذ هو مقام ما كولاتهم وعظام الامر في تناوله ومسه ليتنزه المسلمون عن الاجتماع معهم في الماء كالة والانس وقال عليه الصلاة والسلام في المؤمن والكافر لا تتوارى ناراهما لذلك فاما الحكم فلا بأس بمجالسته اياهم فانه جارى مجرى سلطان ذي اجناد وعدة وعتا ولا يخاف عليه العدو حيث ما توجه ولهذا جوز له الاستماع للشبه بل اوجب عليه ان يتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم ليحادلهم ويجاهدهم ويذافهم فالعالم افضل المجاهدين فالجهاد جهاد ان جهاد بالبيان وجهاد بالبيان ولما تقدم سمي الله تعالى الحجة سلطانا في غير موضع من كتابه العزيز كقوله حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام اني آتاكم بسلطان مبين

*(الباب الخامس والعشرون ما يجب ان يتحراه المعلم

مع المتعلمين منه)*

حق المعلم ان يجرى تعليمه منه مجرى بنيه فانه في الحقيقة اشرف من الابوين كما قال الاسكندر وقد سئل من من اعمالك اكرم عليك أم أبوك قال بل معلى لانه سبب حياتي الباقية ووالدي سبب حياتي القانية وقد نبه صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله انما انا لكم مثل الوالد اعلمكم فحق معلم الفضيلة ان يقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم اذ هو في ارشاد الناس خليفته فيشفق عليهم اشفاقه ويحنن عليهم تحننه كما قال تعالى في وصفه عليه الصلاة والسلام حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وأي عالم لم يكن له من يفيد العلم صار كعاقر لا نسل له فيموت ذكره بموته ومتى استفيد علمه كان في الدنيا موجودا وان فقد شخصه كما قال أمير المؤمنين العلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة وقال بعض الحكماء في قوله تعالى هب لي من لدنك وليا برئى ويرث من آل يعقوب انه سأل نسل يورثه علمه لامن يورثه ماله فاعراض الدنيا أهون عند الانبياء من ان يشفقوا عليهم او كذا قوله واني خفت الموالي من ورائي أي خفت ان لا يرعوا العلم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء وكان حق أولاد الابرار

الواحد ان يتحابوا ويتعاضدوا ولا يتباغضوا كذلك من حق بني العلم الواحد
 بل الدين الواحد ان يكونوا كذلك فاخوة الفضيلة فوق اخوة الولادة ولذلك
 قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
 المتقين وحق العالم ان يصرف من يريد ارشاده من الرذيلة الى الفضيلة بلطف
 في المقال وتعريض في الخطاب والتعريض أبلغ من التصريح لوجوه احدهما
 ان النفس الفاضلة ميلها الى استنباط المعاني تميل الى التعريض شغفا باستخراج
 معناه بالفكر ولذلك قيل رب تعريض أبلغ من تصريح والثاني ان التعريض
 لا تنهك به مجروف المهمة ولا يرتفع به ستر الخشمة والثالث ان ليس للتصريح
 الاوجه واحد وللتعريض وجوه فن هذا الوجه يكون أبلغ ومن هذا الوجه
 حذف أجوبة كثيرة من الشروط المقتضية للثواب والعقاب نحو قول الله تعالى
 حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم الآية والرابع ان
 للتعريض عبارات مختلفة فيمكن ابراده على وجوه مختلفة والتصريح ليس له
 الا عبارة واحدة فلا يمكن ابراده الا على وجه واحد والخامس ان صريح
 النهي داع الى الاغراء ولذلك قيل اللوم اغراء وقال

دع اللوم ان اللوم يغري وانما * أراد صلاحا من يالوم فأفسدا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو نهى الناس عن فت البعر لفتوه قالوا ما نهىنا
 عنه الا وفيه شيء وكفى بذلك شهادة ما كان من أمر آدم عليه السلام وحواء في
 نهى الله تعالى اياهما عن أكل الشجرة ومن حق الملمع من يفيد العلم ان
 يقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم فيحيا عليه الله تعالى حيث قال قل لأستذكركم
 عليه اجرا فلا يطمع في فائدة من جهة من يفيد علميا ثوابا لمسا يوليه وليعلم ان
 من باع علميا بعرض دنيوي فقد ضاها الله تعالى في حكمه وذلك ان الله تعالى
 جعل المال خادما للطعام والملابس جعلها خادمة للبدن وجعل البدن خادما
 للنفس وجعل النفس خادما للعالم فانه لم يخدم غير خادم والمسال خادم غير
 مخدم فمن جعل العلم ذريعة الى اكتساب المال فقد جعل ما هو مخدم غير
 خادم خادما

* (الباب السادس والعشرون وجوب منع الجهالة عن سقائى العالم
والاقتصار بهم على قدر أفهامهم) *

واجب على الحكيم العالم التحرير ان يقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما قال
انما عاشر الانبياء امرنا ان نزل الناس منازلهم ونكلم الناس بقدر عقولهم
وان يتصور ما قال أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه حيث قال لسكميل بن
زياد واوما بيده الى صدره فقال ان ههنا علوما جادة لو وجدت لها جلة بل أصبحت
لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا فيستظهر بنعم الله على عباده
وبحجة على كتابه أو منقاد اهل الحق لا بصيرة له يقتدح الشك في قلبه بأول
عارض من شبهته وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كلوا الناس
بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله وقال عليه
الصلوة والسلام ما أحد يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان ذلك فتنة
على بعضهم وقال عيسى عليه السلام لا تصنعوا الحكمة في غير أهلها
فتظلموها ولا تنهوها أهلها فتظلموهم وكن كالطبيب الحاذق يصنع دواءه حيث
يسلم انه ينفع وقيل تصفح طلاب حكمك كما تصفح خطاب حرمك وبه ألم
أبو تمام

وما أنا بالغيران من دون جبري * اذا أنالم أصبح غيورا على العلم
وقيل لبعض الحكماء ما بالاك لا تطالع أحدا على حكمة يظلمها منك فقال
اقتداء بالبارى عز وجل حيث قال ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم
لتولوا وهم معرضون فبين انه انما سمعهم لما لم يكن فيهم خير وبين ان في
اسماعهم ذلك مفسدة لهم وسأل جاهل حكيمًا عن مسألة من الحقائق فأعرض
عنه ولم يجبه فقال له أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم من كنتم علمنا فاعا
جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال نعم سمعته فأترك اللجام هنا
وأذهب فاذا جاء من يستحق ذلك وكتمته فإلجمني به وقال بعض الحكماء
في قوله تعالى ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما انه نبه على
هذا المعنى وذلك انه لما منعنا من تمكين السفهاء من المال الذي هو عرض
حاضر يأكل منه الير والفاجر تفاها انهم بما يؤثرون الى هلاك دينوى فلا تأن

يمنع من تكينه من عقائق العلوم الذي اذا تناوله السفيه أداه الى ضلال
واضلال فهلاكه أحق وأولى شعر

اذا ما اقتنى العلم ذو شرة * تضاعف مآذم من تحببه
وصادف من علمه قوة * يحصل بها الثمر في جوهره

وكما انه واجب على الحكام اذا وجدوا من السفهاء رسدا ان يرفعوا عنهم الحجر
ويرفعوا اليهم أموالهم لقوله تعالى فان آتستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم
فواجب على الحكماء اذا وجدوا من المسترشدين قبل ان يدفعوا اليهم العلوم
بقدر استحقاقهم فالعلم قنية يتوصل بها الى الحياة الآخرة كما ان المال قنية
يتوصل بها في المعونة الى الحياة الدنيوية وبإذل العلم ان لا يستحق يستوجب
عقوبة وما نهى من أهله يستوجب عقوبات ولذلك قال الله تعالى واذا أخذ الله
ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتيمننه للناس ولا تكتمونه وقال ان الذين يكتمون
ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة
الا آية فاذا ثبت ذلك وجب ان يكون من تعيد من العامة بغير الشريعة فحسنت
طاله ان لا ينصرف عما هو بصدده فيؤدي ذلك الى انحراله عن قيده ثم لا يمكن
ان يقيد بغير الخواص فيرفع السد الذي بينه وبين الشرور ومن اشتغاله
بعمارة الارض بين تجارة ومهنة فحقه ان يقتصر به من العلم على مقدار ما يحتاج
اليه من هو في مرتبة في عبادة الله تعالى العامة وان يلائم نفسه من الرغبة
والرهبة الوارد بهما القرآن ولا تولد له شبهة والشكوك فان اتفق اضراب
بعضهم ما يابنات شبهة تولد له أو والدها ذو بدعة دفعت اليه فتاقت نفسه
الى معرفة حقيقةها فحقه ان يختبر فان وجدنا طبع العلم موافق وفهم ناقيب
وتصور صائب نحل بينه وبين التعلم وسوء عايشه بما يوجد من السبيل
اليه وان وجد شريرا في طبعه أو ناقصا في فهمه منع أشد المنع ففي اشتغاله
بمسبيل له الى ادراكه مفسدتان تعطله عما يعود بنفع الى العباد والبلاد
واشتغاله بما يكثر فيه شبهة وليس فيه نفعه وكان بعض الامم المتقدمة اذا ترشح
بعضهم لاختصاص بعرفة الحكم وعقائق العلوم والخروج من جملة العامة الى
الخاصة اختبر فان لم يوجد خيرا في الخلق او غير متهيئ للتعلم منع أشد المنع فان
وجد خيرا ومثيا شورا على ان يقيد بغيره في دار الحكمه ومنع من الخروج الى

ان يقيد بقيد في دار الحكمة ومنع من الخروج الى ان يحصل له العلم أو يأتي
عليه الموت وينعمون ان من شرع في حقائق العلوم ولم يبرح فيها تولدت له
الشبهة وكثرت فيصير ضالامضلا فيعظم على الناس ضرره بهذا السبب وقيل
نعوذ بالله من نصف متكلم

*(الباب السابع والعشرون وجوب ضبط المتصدين
للعلم ومضرة اهمال ذلك)*

لا شيء أوجب على الساطان من مراعات المتصدين للرياسة باهمال من الاختلال
بها ينتشر الشر وتكثر الاثام ويوقع بين الناس التباغض والتنافر وذلك ان
السوايس أربعة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والولاة
وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والحكام وحكمهم على
بواطن الخاصة والوعظة وحكمهم على بواطن العامة وصالح العالم بمراعات
أمر هذه السياسات لتخدم العامة الخاصة وتؤسس الخاصة العامة وفساده في
عكس ذلك ولما تركت مراعات المتصدين للحكمة والوعظ فترشح قوم الزمامة
بالعلم من غير استحقاق منهم لها فأخذوا يجهلهم بدعا استغروا بها عامة واستجلبوا
بها منفعة ورياسة فوجدوا من العامة مساعدة لما شئت لهم وقرب جوهرهم
منهم فشكل قرين الى شكاه * كأنني استنافى بالعقرب
وفتحوا بذلك طرقا منسدة ورفعوا بها استورا منسدة وطلبوا بمنزلة الخاصة فوصلوا
اليها بالوقاحة وبمسا فيهم من الشر فبدعوا العلباء وكفروهم باعتصاها بالسلطانهم
ومنازعة سكانهم وأغروا بهم اتباعهم حتى وطؤهم باخفافهم واظلالهم فتولد
من ذلك البوار والجور العام

(الباب الثامن والعشرون ذكر من يصلح لوعظ العامة)

لا يصلح الحكيم الانقص الحكيم لانقص العامي
* فان ترى الشمس ابصار الخفافيش * وأيضا فيبين الحكيم العامي من تنافر
طبعيهما وتباين شكليهما من انفار قريب من مابين الماء والنار والليل
والنهار وقيل لسماع بن كهيل ما لعل رضى الله تعالى عنه رفخته العامة وله

في كل خبر ضرر من قاطع فقال لان ضوه عيونهم قصر عن ثوره والناس الى
 أشكالهم أميل وبهذا النظر قال جاهل لحكيم اني أحبك فقال نعت الى
 نفسي قيل له ولم قيل ان صدق فليس ماله الا لنقيصة يدت من نفسي لنفسه
 فأنسته ولهذا قال الشاعر

لقد زادني حب بالنفسي اني * بغض الى كل امرئ غير طائل
 حق الواعظ ان تكون له مناسبة الى الحكاء يقدر بها على الاقتباس منهم
 والاستفادة عنهم ومناسبة الى الدهاة يقدر بها على الاخذ منه كنسبة الوزير
 للسلطان الذي يجب ان يكون فيه أخلاق الملوک وقواضع السوقة ليصلح ان
 تكون واسطة بينه وبينهم فكأنبي الذي جعله الله من البشر وأعطاه قوة الملك
 لم يكنه ان يأخذ من الملك ويمكن البشر ان يأخذوا منه ومنه قوله ولوجعنا
 ملكا فجعلناه رجلا نذير انه ليس في وسعه كم التلقي عن الملك ما لم يتجسم فيصير
 في صورة رجل فاذا حق الواعظ ان تكون له نسبة الى الحكيم والى العامة يأخذ
 منه ويعطيهم كنسبة العضاريف الى اللحم والى العظم جمعا ولولاها لما
 أمكن العظم ان يكتسب الغذاء من اللحم وهذا مما تؤمل فاطمع منه على
 حكمة عجيبه وصنعة غريبة

(الباب التاسع والعشرون ذكر الحال التي يجب
 ان يكون عليها الواعظ) *

حق الواعظ ان ينعظ ثم يهبط ويهضم ثم يهضم ثم يهضم ولا يكون
 دفترافيد ولا يستفيد ومنايحه ولا يقطع بل يكون كالشمس التي تضيء القمر
 الضوه ولها أكثر مما تضيئه وكالنار التي تحيى الحديد ولها من المحي أكثر
 مما تذيئ ويجب ان لا يخرج مقاله بفعاله ولا يكذب لسانه بحاله فيكون ممن
 وصفهم الله تعالى بقوله ومن الناس من يعجبك قوله الى والله لا يحب الفساد
 ونحو ما قال أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه قسم ظهري رجلا ن جاهل متسك
 وعالم متبتك فالجاهل يغتر الناس بتسكك والعالم يهزمهم بتبتك والواعظ
 ما لم تسكن مع مقاله فعاله لم ينتفع به وذلك ان عمله مدرن بالهضم فأكثر الناس
 أعياب الابصار دون البصائر فيجب ان يكون غايته باظهار عمله الذي يذكره

أكثر من عنايته بالذي لا يدرك الا بالصبيرة ومنزلة الواعظ من الموعوظ منزلة
الداوى من الداوى فكما ان الطبيب اذا قال للناس لانا كلوا كذا
فانه سم ثم رأوه آكلوا له عدس مخريه وهزأ وكذلك الواعظ اذا أمر بما لا يعمل به
وبهذا النظر قيل يا طبيب طب نفسك بل قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لم تقولون ما لا تفعلون الآية والآيات منه كثيرة وأيضاً فالواعظ من الموعوظ
يجرى مجرى الطبائع بما ليس منتقشاً بها وكذلك محال ان يحصل في نفس
الموعوظ ما ليس موجوداً في نفس الواعظ واذا لم يكن الواعظ الا ذو قول مجرد من
الفعل لم يتلاق عنه الا القول دون الفعل وأيضاً فان الواعظ يجري من الناس
مجري الظل من ذي الظل فكما انه محال ان يعرج ذو الظل والظل مستقيم
كذلك محال ان يعرج الموعوظ والواعظ مستقيم وأيضاً فكل شئ له حالة
يختص بها فانه يجبر غيره الى نفسه بقدر وسعه بارادة منه أو غير ارادة كالماء
الذي يحيل ما يتلقاه من العناصر الى نفسه بقدر وسعه وكذلك النار والارض
والهواء فالواعظ اذا كان غاوياً جبر غيره الى نفسه ولهذا حكى الله تعالى
عن الكفار ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغوينا هم كما غوينا وقال أيضاً أغويناكم
انا كنا غويين فمن ترشح للوعظ ثم فعل فعلاً قبيحاً اقتدى به غيره فيه فقد جمع
وزره ووزرهم كما قال عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر
من عمل بها بل قد قال الله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم الا ساء
ما يوزون وقال عز وجل وليحملن أثقالهم وأثقالهم مع أثقالهم

* (الباب الثلاثون صعوبة المعيار الذي تعرف به حقائق العلوم) *

كما ان للدراهم والدنانير ميزاناً قد عرف أهلها صحتها فلكل علم ميزان ضروري
الحساب للعدوات والهندسة للحسوسات والعروض للشعور والفصول للغايات
العربية والى هذا أشار تعالى بقوله ولقد آرسننا رسالنا بالبينات وأنزلنا معهم
الكتاب والميزان وأوصى الذين اعطاهم الميزان فقال وزنوا بالقسطاس المستقيم
ولا تبخثوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين فكل شك أو منازع
غيره في مقدار فحقه ان يعتمد ميزانه ان عرفه ويقدر بابه ان لم يعرفه وان
من ترك ذلك وأخذ يخرص ويظن ويخمن لم يزل شكه ولم يستطع خلافه

فانخرص قل ما يصدق والظن قل ما يحقق ولذلك عبر بالخرص عن اللدب
فقال تعالى انهم لا يخرصون وقال تعالى قتل الخراصون وقال تعالى ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ومعهم ان ميزان الدين الذي صوابه
يوصل الى الثواب العظيم وخطأه يفضي الى العذاب الاليم أصعب المراتب
وأشرفها وأولها بالمعرفة وكثير في زماننا من تحلى به علم الكلام وترشح فيه
للجدال والخصام ورام الزعامة فيه قبل أوانها وطلب تحقيق مؤزوناته بغير
ميزانها وأخذ كل واحد منهم يخرص خرسا ويظن ظنا ويسلك نظنه طريقا غير
تبع فاذا وقع بينهم خلاف جعل كل واحد منهم ميزانه خوصه واعتقد فيها اتبعه
ظنه فاذا اتحاكوا الى ما اتخذوه ميزانا صار خلافهم في الميزان أكثر من خلافهم
في المؤزنون فهم في ذلك كن غص بطعام فاستغاث بالماء لا يجرم ان كثير من
من اطراهم لا تولد الاشبهة ولا تثر الا حيرة ظلمات بعضها فوق بعض ومن لم
يجعل الله له نورا فانه من نور

* (الباب الحادي والثلاثون كراهية الجدال للعوام وذمه) *

اباحه الجدال للعامة الذين لم يتدبروا في تحصيل القوانين ولم يتدبروا في سبيل
الابراهيم يجرى مجرى حل قيد الشيطان ورفع يأجوج ومأجوج فانها شئون
سااطان قوتهم السبعية خالفة من يدقائد العقل وقيد الشرع فالجدال مكره
للعلماء الاولياء فكيف الجاهل الاغبياء ألا ترى ان الله تعالى قال لنبيه
صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي أحسن فلم يطلق له جدال مخالف فيه حتى
قيده بالاحسن هدام وصحة عليه الصلاة والسلام بقوله وانك اعلی خلق
عظيم وقال تعالى في ذم الجدال ما ضربوه لك الاجدلا وقال ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقال واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا فعرض عنهم والجدال مع كونه مكرها مشروط وقوانين من تعاطاها ولم
يكن متدبرا فيها كان خصما جدلا والخصومة عديدة الفائدة قليلة العائدة فان
الجدل مع منافيه قد يوقظ الفهم ويشير الى انفة لا قياس العلم والخصومة لا تثر
الا العداوة وانكار الحق ولهذا جعلها الله شرا من الجدال فقال تعالى بل هم
قوم خصمون وقال فاذا جهل خصيم أي جيد الخصومة مبين ولم يذكر الخصام في

موضع الاعابه وايضا المتجادلان يجريان مجرى فلين تعاديا وكبشين تناطحا
ورئيسين تحاربا وكل واحد منهما يجهل ان يكون هو الفاعل وصاحبه المنطبع
والقائل كاثوثر والسامع كالمأثر ولم يتولد منهما خير بوجه وقال حكيم الجادل
المدافع يقع في نفسه عند الخوض في الجدل ان لا يقنع بشئ ومن لا يقنعه
الا ان لا يقنع فسا الى اقناعه سبيل ولوا تفقت عليه الحكمة بكل بيعة بل لو اجتمعت
عليه الانبياء بكل معجزة كما قال ولوا نزلنا اليهم الملائكة

(الباب الثاني والثلاثون ما يجب ان يعامل به الجدل المباح)

اذا ابتليت بمهارش محاسنك مناوش قصده اللجاج لا المحاج ومراد من مناوأة
العلماء ومناوأة السفهاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم العلم
ليباهي به العلماء أو يباري به السفهاء انح وكما قال الشاعر

تراه معد للخلاف كانه * برده على اهل الصواب موكل

فقل ان تفر منه فرارك من الاسود والاسود فان لم تجد من مزاولته بدا
فكابر انكاره الحق بانكارك الباطل ودفاعه الصدق بدفاعك الكذب
معتبرا في ذلك قوله عز وجل ومكرنا مكرا وقوله ومكروا ومكر الله وقوله
تعالى حكاية عن المنافقين انام معكم انما نحن مستهزؤون الله يستهزئ بهم
وقال فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وبالغ في ذلك معه واياك ان تعرج معه الى
بش الحكمة وأن تذكر له شيا من الحقائق ما لم تحقق له قلبا طاهرا لا ثقا
للحكمة فقد قال عليه الصلاة والسلام لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب فان
لكل تربة غرسا ولكل بناء أسسا وما تل الرأس تستحق التيجان ولا كل طبيعة
تستحق افادة البيان وان كان لا بد فاقصر معه على اقتناع بيانه فهمه فقد
قيل كان لب المؤمن مباح للنحل والتين معدود الانعام كذلك لب الحكمة
معدود في الالباب وقشورها محمولة للانعام وكما ان من الخيال ان يشم الاخشى
ويحانا فحال ان يفيد المحسار يسانا واعلم ان سبيل انكار الحق والسعي
في افسادها أسهل من سبيل المعاوضة بثلها والمقابلة لها ولهذا تجري الجادل
الخصم أبدا بالمدافع لا المعاوضة بثلها وذلك ان الافساد هدم والايان بالمثل بناء
وهو صعب فان الانسان كما يمكنه قتل النفس الزكية وذبح الحيوانات وإحراق

النبات ولا يقدر على إيجاد شيء منها يقدر على افساد حجة قوية بضرب من الشبهة
المزعومة ولا يمكنه الاثبات بطلانها ولا اجل ما قلنا سادما الله في الحجج الى الاثبات بطلانها
فقال قل فأتوا بعشر سور مثله مقتريات فرفض أن يأتيوا بمسا فيه مشابهة له وإن
كان ذلك مقترى وقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام فإن الله يأتي بالشمس من
المشرق فأتوها من المغرب والله الموفق

(الباب الثالث والثلاثون الوجوه التي من اجالها يقع الشبه والخلاف)

السبب الموقع للشبه والمولد للخلاف على القول المجمل سببان المعنى واللفظ
أما ما كان من جهة المعنى فاما ان يكون من جهة الناظر أو من جهة المنظور فيه
وهو الحجة أو من جهة الآلة التي تستعمل في النظر فان الناظر في الشيء المعتبر له
جاري مجرى وزن وحججه كالميزان والمنظور فيه كالموزون في كان الناظر غير تام
العقل كان اعنى البصيرة فيجري مجرى وزن اعنى البصر فلا سبيل له الى الوزن
ومن لم يكن اعنى البصيرة لكن هو غير مالك لقوانين البراهين والحجج والادلة
كان جارا مجرى وزن عديم الميزان فأخذ يخمن ويخمن فلما ينفك من غلط بل
ما وقع منه من الصواب غير معتد به اذ لا أصل له تسكن اليه النفس ومتى لم يكن
اعنى البصيرة لكن لا يعرف أى حجة يستعمل فيما هو بصده فيطالب المعقول
من جهة المحسوس والمحسوس من جهة المعتول كان جارا مجرى وزن بصير
لكن يزن الدنانير بصنج الدراهم والدراهم بصنج الدنانير وأما ما كان من
جهة اللفظ فاما ان يكون ذلك واقعا من جهة مفردات اللفظ أو من جهة مركباته
فان كان من مركبات اللفظ فاما ان يكون من حيث ان اللفظ مشترك بين المعنيين
كالهين واليه ونحوهما او يكون اللفظ عاما موضوعا موضع خاص أو خاصا
موضوعا موضع عام أو مستعملا على سبيل المثل أو الرمز أو الإشارة أو مستعملا
لشيء لم تتقرر سورة ذلك الشيء في نفس السامع فيتحيل له وهم فاسد كاعتقاد كثير
من الناس اعتقادات فاسدة في الملائكة والجن والشیاطين والجنة والنار
والميزان والصراط والكرمي فأما ما كان من جهة التركيب فاما ان يكون من
جهة الكمية وذلك بأن يكون اللفظ أكثر مما يجب ان يكون أو اقل مما يجب

ان يكون وامان بجهة الكيفية وذلك بأن يقدم مباحثه ان يؤتى ويؤخر مباحثه
ان يقدم كقول الشاعر

ومما مثله في الناس الاممكا * ابوامه حي ابوه يقساريه

ومن اجل ما وقع في الالفاظ من الشبه قالت المحكماء يجب ان يكون نظر
الانسان من المعنى الى اللفظ في الحقيقة لا يدل على المعنى الا بواسطة صورة
ذلك اللفظ في القلب ومتى لم يثبت صورة المعنى في القلب لم يفهم المعنى من اللفظ
البتة

* (الباب الرابع والثلاثون بيان اختلاف جميع الناس في الاديان والمذاهب) *

جميع الاختلاف بين اهل الاديان والمذاهب على أربعة مراتب الاولى
الاختلاف بين اهل الاديان النبوية وبين الخارجين عنهم من الثنوية
والدهرية وذلك في حدود العالم وفي الصانع عز وجل وفي التوحيد والثانية
الخلافا بين النبوة بعضهم بعضا وذلك في الانبياء كاختلاف المسلمين والنصارى
واليهود والثالثة الخلاف المختص في اهل الدين الواحد بعضهم بعضا في
الاصول التي يقع فيها التبديع والتفجير والاختلاف في كثير من صفات الله
عز وجل وفي القدر وكاختلاف الجماعات والرابعة الاختلاف المختص بأهل
المقالات في فروع المسائل كاختلاف الخنزية والشافعية فالاختلاف الاول
يجرى مجرى متنافيين في مسئلتهم ما كان خذ من طريق الشرق وآخذ من طريق
الغرب وآخذ من ناحية الجنوب وآخذ من ناحية الشمال والثاني يجري مجرى آخذ
من الشرق وآخذ من شماليه فهو وان كان اقرب من الاول فليس يخرج
أحدهما عن أن يكون ضالا بعيدا واباها قد تعالى بقوله ويريد الشيطان
ان يضلهم ضالا بعيدا والثالث يجري مجرى آخذ من وجهة واحدة لكن
أحدهما سلك المنهج والثاني تارك له وهذا التارك للمنهج ربما يبلغ وان
كانت الطريق تطلق عليه والثالث سار مجرى جماعة سلكوا منهجا واحدا لكن
أخذوا كل واحد شعبة غير شعبة الآخر وهذا هو الاختلاف الموجود بقوله
صلى الله عليه وسلم الاختلاف في هذه الامة رحمة وقوله هم كل مجتهد في

الفرع مصيب ولاجل الطرق الثلاثة أمرنا ان نستعين بالله تعالى وننتصرع
اليه بقوله اهـ لنا الهراط المستقيم وقال تعالى وأن هذا صراطي مستقيماً
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وجميع الخلاف الواقع في هذه
الامة اثنان وسبعون على ما ورد في الخبر لا زاد ولا ناقصا وقد ورد الخبر في ذلك
على وجهين أحدهما المستفترق أمتي على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار
الا واحدة وفي الخبر الثاني كلها في الجنة الا واحدة وهي الزنادقة وهذا خبران
لا يمنع أن يكونا صحيحين ولكن على نظرين ومعنيين وقد ذكرنا ذلك وبين
في رسالة مفردة وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير خلقه

* (الباب الخامس والثلاثون النطق والصمت) *

النطق اشرف ما خص به الانسان فانه صورته المعقولة التي باين بها سائر الحيوان
ولهذا قال عز وجل خلق الانسان علمه البيان ولم يقل وعلمه اذ جعل علمه نفسه
لغوله خلق الانسان تبيين ان خلقه اياه هو تخصيصه بالبيان الذي لو توهم
مرتفعاً كانت الانسانية مرتفعة ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الابهية
مهمة أو صورة عملة وقيل المرء مخبوء تحت لسانه قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

أي اذا توهم النطق الذي هو باللسان والقوة الناطقة التي هي بالقلب لم يبق
الا صورة اللحم والدم فاذا كان الانسان هو الانسان بذلك فن كان أكثر منه
حظا كان أكثر منه انسانية والصمت من حيث هو صمت مذموم فذلك من
صفات الجادات فضلا عن الحيوانات وقد جعل الله تعالى بعض الحيوانات
بالاصوت وجعل لبعضها صوتا بالتركيب ومن مدح الصمت فاعتبارا بمن
يسمى في الكلام فيقع منه جنائيات عظيمة في أمور الدين والدنيا كما روى ان
الانسان اذا أصمحت كفرت أعضاؤه اللسان فتقول أتق الله فينا فانك ان
استقممت استقمنا وان اعوججت اعوججتنا فاما اذا اعتبرنا أنفسهما فقال ان
يقال في الصمت فضل فضلا ان يخاف بينه وبين النطق وسئل آت من فضلهما
فقال الصمت عن الحنا أفضل من الكلام بالخطأ وعنه أخذ الشاعر

الصمت أليق بالفتى * من منطقي في غير حينه

والفرق بين الصمت والسكوت والانصات والاصاحة ان الصمت ابلغ لانه يستعمل في ما لا قوة فيه للنطق ولما له قوة النطق ولهذا قيل لماله انطق الصمت والسكوت يقال لماله انطق فترك استعماله والانصات سكوت مع استماع ومتى انقلب أحدهما من الآخر لم يسم انصاتا في الحقيقة وعليه قوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون فقوله انصتوا بعد قوله استمعوا يدل على ان الانصات بعد الاستماع ركن خاص به - دعاء والاصاحة الاستماع الى ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد

* (الباب السادس والثلاثون في الصدق ومدحه والكذب وذمه) *

أصلهما في القول ولا يكونان بالقصد - الاول من القول الا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام فأما بالعرض فقد يدخل في أنواع الكلام من الاستفهام والامر والدعاء وذلك ان قول القائل أريد في الدار في ضمنه اخبار بكونه جاهلا بحال زيد وكذلك اذا قال آسى في ضمنه انه محتاج الى المؤنسات واذا قال لا تؤذني في ضمنه انه يؤذيه وكلاهما أي الصدق والكذب يستعمل في الاعتقاد أيضا كقولهم صدق ظنه واعتقاده وكذبا ويستعملان أيضا في أعمال الجوارح فمخصوصة قوهم القتال وكذبهم وحده الصدق التمام هو مطابقة القول للضمير والخبر عنه معا ومتى انفرد شرط من ذلك لم يكن صدقا بل اما ان يوصف بالصدق والكذب أو تارة يوصف بالصدق وتارة يوصف بالكذب على نظرين مختلفين كقول الكافر اذا قال من غير اعتقاد محمد رسول الله فإنه يصح ان يقال فيه انه صدق ليكون الخبر عنه كذلك ويصح ان يقال فيه انه كذب بخلافه قوله ضمنه ولهذا كذبهم الله تعالى حيث قال اذا جاءك المنافقون قالوا تشهد انك رسول الله والله يعلم الآية وكذلك اذا قال من لم يعلم كونه زيدا في الدار انه في الدار يصح ان يقال صدق وان يقال كذب بنظرين ولهذا قال عليه الصلاة والسلام من قال برأيه في القرآن فأصاب فقه - دأخطأ وفي خبر فقد كذب على الله والمبرسم لا قصده - فاذا قال زيد في الدار لا يقال له صدق ولا كذب والصدق أحد أركان بقاء العالم حتى لو توهم ارتفاعه لم يصح نظامه وبقاؤه

وهو أصل المجددات وركن النبوات وتيجة التقوى ولولاه لطلت أحكام الشرائع ولهذا قال عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والاختصاص بالكذب انسلاخ من الانسانية فخصوصية الانسان النطق فمن عرف بالكذب لم يعتمد نطقه ومن لم يعتمد نطقه لم ينفع وإذا لم ينفع نطقه صار هو والبهيمة سواء بل يكون شر من البهيمة فإن البهيمة إن لم تنفع بالسانها لم تضر والكاذب يضر ولا ينفع ولهذا قال عز وجل إنهم إلا كالأعنام بل هم أضل وأعلم أن كل كلام خرج على وجه المثل للاعتبار دون الاخبار فليس بالكذب على الحقيقة ولهذا لا يتحاشى المتحرزون من التحدث كقولهم في الحديث على مداراة العدو والباطل في خدمة الملوك أن سبعا وذبنا وثعلبا اجتمعن فقلن نشرك فيما نتصيد فصعدن غيرا وظبيا وأربنا فقال السبع للذئب أقسم فقال هو مقسوم العير لك والطبي لي والارنب للثعلب فوثب السبع فأدماه ثم قال للثعلب أقسم فقال هو مقسوم العير لك لثعلبك والطبي لثعلبك والارنب لثعلبك فقال من علمك هذه التهمة قال علمني الثوب الارجواني الذي على الذئب وعلى المثل حل قوم قوله عز وجل إن هذا أخى له تسع وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة وقوله تعالى كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فقال يصح هذا لما كان مثلا وإن لم تجر العادة بوجود النجمة هكذا

(الباب السابع والثلاثون ما يحسن ويقبح من الصدق والكذب)

ذهب كثير من المتكلمين إلى أن الصدق يحسن لهينه والكذب يقبح لهينه وقال كثير من الحكماء والمتصوفة أن الكذب يقبح ما فيه من المضرات الخاصة والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الخاصة وذلك أن الأقوال من جملة الأفعال ومن الأفعال ما لا يحسن ولا يقبح لذاته وإنما يقبح لما يتعلق به من الضرر على ما فيه من النفع وبالعكس ألا ترى أن أعظم ما يجري في العالم القتل والغضب وقد يقع كل واحد منهما على وجه يحسن وعلى وجه يقبح فكذلك المقال من الصدق والكذب ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يحسن الكذب إلا في ثلاث إصلاح ذات البين وكذب الرجل لامرأته ليرضيها وكذب الرجل في الحرب فإنها خدعة وقد ورد إذا أتاكم عن حديث يدل على هدى

أورد عن ردي فاقبلوه قلته أولم أقله وإن أنا كم عن حديث يدل على ردي
أورد عن هدي فلا تقبلوه فاني لأقول الاحتمال الكذب يكون قبيحا
بثلاث شرائط ان يكون الخبر بخلاف الخبر عنه وإن يكون الخبر متعلقه عند
الانخبار به وأن يقصد اراد ما في نفسه لا نفعاً أعظم من ضرر ذلك الكذب مع
شرط ان لا يمكن الوصول الى ذلك النفع بغيره ومع انه اذا ظهر كان للكذب
عذر واضح عاجل وأجلاً قالوا ولا يلزم على هذا ان يقال احذروا الكذب
فهي امر جي منه نفع دنيوي فالنفع الدنيوي ولو كانت تلك الدنيا جحداً فيها
لا تعادل ضرراً دني كذب وانما هذا الذي قلناه يتصور في نفع آخر
يكون الانسان فيه معذوراً عاجلاً كمن سألك عن مسلم استتر في دارك وهو يريد
قتله فتقول لا فهذا يجوز فان نفع هذا الكذب موفي على ضرره وهو فيه
معذور ولا خلاف في ان في المساريض مندوحة عن الكذب ولم تزل الانبياء
والاولياء يفرعون اليها كقول النبي عليه الصلاة والسلام لمن سأله من أين أنت
من ماء وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام اني سقيم وقوله هذه أختي وقوله
بل فعله كبيرهم هذا وأما الصدق فانهما يحسن حيث يتعلق به نفع ولا يلحق
ضرره باحد فاعلم قبح قول من يقصد ويقول السعاه فوقى والارض تحيى
من غير ان يريد ان يجعل هذا مقدمة دليل أو افادة معنى تعلقه به فكذلك قبح
التمجيد والسعاية وإن كانا صدقاً ولذلك قيل كفى بالسعاية ذماتاً يفتح فيها
الصدق وأقبح الكذب مع قبح كاه أو جله ما لا يتعلق به رجاء نفع عاجل أو أجل
ويجلب للقول له ضرراً كرجل يأتيك من بلاد بعيد فيقول ان ملك ذلك البلاد
يرغب فيك ويتشوق اليك وسألك ان تأتيه لينذك ما لا وجاها فاذا وردت فلم
تجد ذلك صدقاً بل وجدت ذلك الملك خنقاً عليك

(الباب الثامن والثلاثون أنواع الكذب والسبب الداعي اليه)

الكذب اما ان يكون اختراع قصة لأصل لها أو زيادة في القصة أو نقصاناً
بغير ان المعنى أو تحريراً بغير عبارة فما كان اختراعاً يقال له الافتراء وقوله فأما ان يقوله
والاختلاق فان كان زيادة في كل من أورد كذبا في غيره فأما ان يقوله لم يزد كرم مقابل اما
بعضه المقول فيه وهو المعبر عنه بالبهتان وكل من أورد حديثاً فأما ان يقوله فليستأمل اه

عن علم أو عن غلبة ظن بحسن أو بققح فسا كان عن تهمين فظن مذموم
وعليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من الظن الآية واعلم ان
الداعي الى الكذب محبة النفع الدنيوي وحب الثراء وذلك ان الخبير يرى
ان له فضلا على الخبير بمأمله فهو يشبهه بالعالم الفاضل فيظن انه يجلب بها
يقوله فضلا ومسرورة وهو يجلب به نقيصة وفضيحة ففضيحة كذبة واحدة لا توازي
مسرة دهره والكذب عار لازم وذل دائم وحق الانسان ان يتحرى الصدق
ويتعوذ ولا يتخص في أدنى كذب فمن استحلاه عسر عنه فطامه وقال
بعض الحكماء كل ذنب يرجى تركه بتوبة أو تابة ما خلا الكذب فان صاحبه
يزداد على الكبر فان رأى أن شارب خمر أقلع ولصان زرع ولم ترك ذنبا رجح وعوتب
كذاب في كذبه فقال لو تفرغت به ونطعمت حلوته لما صبرت عنه والله
الهادي

(الباب التاسع والثلاثون الذكرا الحسن من المدح والثناء)

محبة الذكرا الحسن أشرف مقاصد أبناء الدنيا وهي من جملة الناس في
خصائصهم ولا يوجد في غيرهم من الحيوان كما قال الشاعر
بحب الثناء طبيعة الانسان * ولولا الكاف به لما ظهرت العدالة من أكثر
الناس ولما خافه الهجاء ولا سره الثناء ولا ردعه عن سوء الفعل الاسوط
أوسيف ولذا قيل عما ينفع عن القبح ويحث على الجميل خمسة أشياء العقل
ثم الحياء ثم المدح والهجاء ثم الترغيب والترهيب وقيل من لم يردعه الذم عن
سيئة ولم يدعه المدح الى حسنة فهو جاد أربعة ولا جله تنازع الناس
الرياسة والمنازل الرفيعة وليس الثناء في نفسه محمود ولا مذموم وإنما يذم
ويحمى بحسب المقاصد فمن قصده طلب ما يستحق به الثناء على الوجه الذي
يستحب فذلك محمود وهو طريق ابراهيم صلى الله عليه وسلم حيث قال واجعل لي
لسان صدق في الآخرة أي اجعلني بحيث أفعل ما إذا مدحت به يكون مادي
صادقا ومن هذا الوجه ندب للانسان ان يقول إذا مدح اللهم اجعلني خيرا
ما يظنون والمذموم ان يعجل اليه من غير تجربة لفعل ما يقتضيه وذلك من أعظم
الآفات ان تحمدا فانه يفتح باب الحمد والمحمد يفتح باب الكذب والكذب

رأس كل مذمومة وقد نوه الله سبحانه وتعالى من طالب الخدمة من غير فعل
حسنة فقال تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما هم
يفعلوا وينظرون إلى قوله صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وسأنته سيئته فهو
مؤمن وقال المؤمن إذا مدح في وجهه ر بالايمن في قلبه ومن الاول قول النبي
صلى الله عليه وسلم وقد سمع رجلا أتى على آخر فقال قطعت مطامير سمع ما أفلح
والفاضل يكره الثناء عليه في وجهه سيما إذا كان من مدح مطري وجليس
مفري ومن يحرف قبل أن يعرف ومن أن وجد قاذحا قدح وأن وجد
مادحا مدح وأما الثناء من الإنسان على نفسه فشناعة وفظاعة وقد قيل
لحكيم ما الذي لا يحسن وأن كان حقا فقال مدح الرجل نفسه وقال معاوية
رضي الله تعالى عنه لرجل من سيد قومك فقال أنا فقال لو كنته ما قلت
وانما لم يستقبح من يوسف عليه الصلاة والسلام قوله اجعلني على خزائن الارض
اني خفيظ عليم لانه قصص بذلك التنبيه على استقلاله بما سأل ان يفوض
اليه وقد أحسن ابن الرومي حيث اعتذر عن مدح نفسه قصيدة الدلالة على
مكانه بقوله

وعزير على مدحي لنفسي * غير أني جشمته للدلالة
وهو عيب يكاد يسقط فيه * كل خير يد اظهر آله
وصلى الله على سيدنا محمد

* (الاسباب الاربعون الشكر) *

الشكر تصور المنعم عليه النعمة واظهارها وهو مقلوب عن الكفر ويضاده
الكفر وهو من كفرت الشئ غطيته ودابة شكور أي مظهرة بسمها اسماء
صاحبها اليها وقيل أصله من عين شكوى أي متلثة فالشكر هو الامتلاء
من ذكر المنعم عليه ومن هذا الوجه قيل هو أبلغ من الحمد لأن الحمد ذكر
الشئ بصفاته والشكر ذكر الشئ بصفاته وبنعمه فالشكر على ثلاثة أضرب
شكر بالقلب وهو تصور النعمة وشكر باللسان وهو الثناء على المنعم وشكر
بإثرائه وهو كفايته بقدر استحقاقه وهو أيضا باعتبار الشاكر
والشكر على ثلاثة أضرب شكر الإنسان لمن هو فوقه وهو بالخدمة والثناء

والدعاء وشكر نظيره وهو بالكافآت وشكر لمن هو دونه وهو بالشوايب
وقد وصف الله تعالى نفسه بالشكر اصالح عباده وشكر العبد له هو معرفة
نعمته وتحفظ جوارحه بمنه عن استعمال ما لا ينبغي وشكر المنعم في الجملة
واجب بالحق كما هو بالشرع وأوجبها شكر البارئ تعالى ثم شكر من
جعل له سبيل الوصول خير اليك على يده ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لا يشكر
الله من لم يشكر الناس وقال عليه الصلاة والسلام اشكر لمن أنعم عليك
وأنعم على من شكره فإنه لا تزول النعمة اذا شكرت ولا دوام لها اذا كفرت
وقال بعضهم كل نعمة يمكن شكرها الا نعمة الله فان شكر نعمته نعمة منه فيحتاج
العبد ان يشكر الثاني كشكره الاول وكذلك الحال في الثالث والرابع
وهذا يؤدي الى ما لا يتناهى ولهذا قال موسى عليه الصلاة والسلام الهى
أمرتني بالشكر على نعمك وشكرى لك نعمة من نعمك ومن هذا أخذ
الشاعر

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له في مثلها يحجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
ولهذا قيل غاية شكر الله تعالى الاعتراف بالجزء عنه بل قد قال الله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأيضاً فكل ما يفعل الله بعبده فهو نعمة منه وان
كان بعض ذلك يعد بليه ولهذا قال بعض الصالحين يا من منعه عطاءه وبلاءه
نعماءه ولاجل صغوبة شكره قال عز وجل وقليل من عبادى الشكور ولم يثن
بالشكر على أوليائه الا على اثنين منهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال
تعالى شاكر الانعم اجتهاد فخص لفظ لا نعمة الدال على أدنى العدد وقال في
نوح عليه السلام انه كان عبداً شكوراً واعلم ان الشكر والصبر جامع الايمان
كما روى في الخبر الصبر نصف الايمان لكن قال بعض المتصوفة الشكر أفضل
من الصبر فان الصبر جس النفس الى مسالة البلاء والشكر ان لا تلتفت الى
البلاء بل تراه من النعماء فمن صبر فقد ترك اظهار الجزع ومن شكر فقد تجاوز
الى اظهار السرور بما جزع له الصابر وأيضاً الصبر ترك العمل السيئ والشكر
اظهار العقل المحسن وليس من ترك قبيحاً كمن فعل جميلاً وقابل تعالى الشكر
بالمجازاة فعلى الحبيب بحمديه فقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقابل
الصبر

الصبر بالاجر فعل المستأجر بأجره فقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم
بغير حساب وأين الاجر وان كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء ثم قال
في الصبر يوفى فلم يسم فاعله وقال في الشكر سيجزى الشاكرين فانظر الى
هذا اللطف في المقال قبل الانتهاء الى الافعال ولم يذكر من أنبيائه بالشكر
الاثنين كما تقدم ووصف جماعة بالصبر فقال كل من الصابرين وقال
لكل صابر شكور فجعل الصبر مبدء الشكر تنبيهها ولأن الصبر محمول
عليه قهرا والشكر مؤدى طبعاً

(الباب الحادي والاربعون الغيبة والغيبة)

الغيبة ان يذكر الانسان غيره بما فيه من عيب من غير ان يحوج الى ذكره
وقد عظم الله تعالى أمرها فقال ولا يغتب بعضكم بعضاً الآية وقال تعالى هم امر
مشاء بنميم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وروى النعمية تفطر
الصائم وتنقض الوضوء وقل من كان عاثباً الا كان معيباً وقال قتبية رجل
راه يغتاب آخر لقد تلمظت بما يعافه الكرام وحق الانسان ان
لا يعود ما فان لها ضراوة ولهذا غير انسان آخر بالغيبة فقال لو تلمظت بها
لما صبرت عنها ثم ان من اغتاب اغتیب ومن عاب عيب فبحثه عن عيوب
الناس يورث البحث عن عيوبه وكما لا يجب ان يتعراها بقوله يجب ان لا يسمها
لان سماع كل قبيح يعلق ضرره ووسخه بذكره فنجس كلمة عوراء لا يمكن
الطهر منه الا بزمان مديد وعلاج شديد وسماع القبيح قد يكون سبباً لفساد
الكبير الجيد وغواية العالم المستبصر فضلاع عن فساد الحديث الغر والناسئ
الغمر ولذلك قال عز وجل في مدح قوم واذ امرتوا بالغوم مروا كراماً وقد أجاد
من قال

وسمعتك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

وكقبح الغيبة والغيبة المسابقة قال صلى الله عليه وسلم ما تأساب
انسان الا غلب الاثمهما والا انحط الأمل الى رتبة الاسفل منهما وقيل
اذا سمعت كلمة تؤذيك فتيامن لها حتى تتحاشك وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله

«(الباب الثاني والاربعون الكلام القبيح البذاء)»

الكلام القبيح يكون من القوة الشهوية طورا كالرفث والسخف و يكون من القوة الغضبية طورا متى كان معه استهانة بالقوة المفكرة كان معه السباب ومتى كان من مجرد الغضب كان صوتا مجردا لا يفيد نطقا كما يرى في كثير من فار غضبه وهاج هاتجه والرفث فواحش الكلام في باب النكاح وأوصاف النساء وهو قبيح وقال بعضهم اني لا أستعجب من الرجل ان يكون وصفا لبطنه وقبحه ومن حق الانسان ان يصون عن ذلك سمعه كما يصون عن الشهوة فيه ولذلك وصف الله تعالى قوما فقال واذا مروا بالانعم مروا كراما وقال تعالى فاذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين والاسباب ثلاثة الاولى قدح في نسب المسبوب الثاني في نفسه أو بدنه لعاهة به أو آفة الثالث في شيء فعله أو فعل به والسفاهة التمرع الى القول القبيح

«(الباب الثالث والاربعون المزاح والفحك)»

المزاح اذا كان على الاقتصاد فهو محمود كما روى عنه عليه الصلاة والسلام اني لأمزح ولا أقول الا حقا وروى عنه صلى الله عليه وسلم كلمات مزاح بها وقال سعيد بن العاص اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء وتركه يقيض المؤمنين ويوحش المخالطين لكن الاقتصاد منه صعب جدا لا يكاد يوقف عليه ولذلك تخرج عنه أكثر الحكاه حتى قيل المزاح مسلبة للبهاء ومقطعة للأخاء وفعل لا ينبغي الا للشر وأما الفحك فن خصائص الانسان وذلك لانه يكون عن التعجب والتعجب لا يكون الا عن فكرة والفكرة تتميز الانسان عن البهائم والاقتصاد فيه ومعرفة ما هو حسن منه عسر كالمزاح وقيل اياك وكثرة الفحك فانها تقيت القلب وتورث النسيان وقيل كثرة الفحك من الرعونة ويحكى عن عيسى عليه الصلاة والسلام انه قال ان الله يبتلع المضحك من غير عجب والمشاء الى غير ارب وأما ايراد المضحكات على سبيل السخف فنهاية القباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فمكذب

* (الباب الرابع والاربعون الخلف) *

الخلف الكذب أقبح من اليمين الفاجرة ففيها مع الكذب الاستهانة بالمقسم به وحق المسلم ان يتحاشى من الاستهانة باليمين في الحق فكيف في الباطل وأن يتحقق تقدير القسم وما يراد به ليهلم ان الأعراض الدنيوية أو مخ أمرا وأخس قدر امن ان يفرع فيها الى اليمين بالله وتقدير ذلك أن القائل اذا قال تالله ان لي عليك كذا أي ان وجود ذلك حق كما ان وجود الله حق وهذا كلام يتحاشى منه من في قلبه حبة منورل من تعظيم الله تعالى وقد قال تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ان تبروا وقال أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه الخلف ينفي السعادة ويذهب البركة وان يخص يمينان يمين وأما قوله صلى الله عليه وسلم من لم يحلف على ماله فلا مال له فإنه وان كان ينظر الفقهاء انه يفسح له في الخلف صادقا فإنه ينظر الحكماء حث على اتيان تعظيم الله تعالى وتقديم على ايثار المال وتعريض بان الذي فاتة هو عرض حاضر لا الدين والمروفة وحق العاقل اذا اضطر اليه ان يسلك سبيل التعريض اليه دون التصريح وما لا يضطر اليه يتركه تعريضا وتصريحا وان بدر منه سهوا حلف يدرؤه بالاستئناء كما قال صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليقل ان شاء الله فإنه يدفع الحنث ويذهب الحنث وينجز الحاجة ويرد الحاجة وقيل العاقل اذا تكلم اتبع كلامه مثلا والا حق اذا تكلم اتبع كلامه حلفا وعلامة الكاذب جهوده بيمينه على غير مستحلف قال الشاعر

وفي اليمين على ما أنت واعدته * ما دل انك في اليمين اعدتهم

وقال بعض الحكماء الخلافه تدل على كذب أو بابها لان ذلك لقوله الركون الى كلامهم وكما يجوز عليه الصلاة والسلام الكذب اذا اضطر اليه جوز الحنث في اليمين فقال اذا حلف أحدكم على شيء فرأى غيره خيرا منه فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه